تأهيل الشباب المستقيم

(روحيًّا- علميًّا- تربويًّا- اجتماعيًّا)

تأليف

شايع بن عبدالله بن محمد العليان

ح **دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٤٣٥ هـ**
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

- الرياض، ١٤٣٤هـ
ص:؛ سم: ١٧× ٢٤
ردمك: ٧- ٤٧- ٨١٣٣- ٦٠٣- ٩٧٨
١- القواعد الفقهية أ. العنوان
ديوي: ٦، ٢٥١ ٩٨٧٣/ ١٤٣٤

رقم الإيداع: ٩٨٧٣/ ١٤٣٤
ردمك: ٧- ٤٧- ٨١٣٣- ٦٠٣- ٩٧٨

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م

دار الصميعي للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي السويدي، شارع السويدي العام -الرياض
ص.ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢ هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥، ٤٢٥١٤٥٩ فاكس: ٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم: عنيزة، بجوار مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية
هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق: ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com

دار الصميعي للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

الاستقامة نعمة عظيمة يمن الله بها على من يشاء من عباده، وهي أعظم الكرامة، وأساس الديانة، وسبيل السلامة، وإن قيل: لا حياة بلا ماء، أقول أنه لا طعم للحياة بلا استقامة، كيف لا والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]، ولن ينال هذا الفضل العظيم والمقام الكريم إلا من استقام على أمر الله.

بيد أن الأيام حملت لنا في طياتها بعض المواقف الغريبة والتصرفات العجيبة صدرت من بعض الملتحين، حار فيها اللبيب، ونبذها البعيد والقريب، فأحدهم يرى رجلًا ملتحيًا يتعاطى المخدرات، وثانيا يكذب ويخلف المواعيد، وثالثا يعشق المردان ويصاحب الغلمان، ورابعا يعق والديه ويعذب أبناءه!

إن الشاب المهتدي يمر في بداية استقامته بالعقبات المتتابعة، فلا يعلم من أين ينطلق! وما الطريق الصحيح للتقرب إلى الله والاستقامة على دينه! بل إن

بعضهم يتخبط حتى يذهب جل عمره، ثم يدرك أنه لم يحقق من الاستقامة إلا الاسم فقط.

وبعضهم تصدر منه مجموعة من السلوكيات الخاطئة والمواقف الشائنة، وتُنسب إلى الاستقامة والمستقيمين.

والبعض يقع في أخطاء منهجية تقودهم إلى الانتكاسة أو عدم تحقيق الاستقامة بالمعنى الصحيح.

فعندما أسمع مثل هذه المواقف وغيرها يدور في خلدي سؤالٌ واحدٌ: هل قام هؤلاء بتأهيل أنفسهم لتحقيق الاستقامة؟

في هذه الورقات محاولة لتحديد مفهوم تأهيل الشاب المستقيم، وتعريف لمنطلقات الاستقامة ومراميها، وفيها محاولة للإجابة عن سؤال الكثير من المستقيمين الجدد وهو: **كيف نحقق الاستقامة؟**

فما هي إلا محاولة للإرشاد والتوجيه والنصح للمسلمين، يحملني عليها الأخوة في الدين، فإن أصبت فمن الله وحده وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وأنبه القارئ الكريم إلى أنني لم أتحدث عن الاستقامة وبيان فضلها أو الدعوة إليها؛ لأنه موضوع مألوف مطروق، بل ركزت على موضوع تأهيل الشباب المستقيم، مخاطبا ثلاثة أصناف من الناس:

- من تاب وأناب وسلك طريق الاستقامة، وهؤلاء أبين للواحد منهم كيفية تأهيل نفسه في جميع المجالات وتنمية قدراته، والقواعد التي يسير عليها في دينه ودنياه، من استقامته حتى لقاء ربه.

- من استقام برهة من الزمن ثم حاد عن الطريق بعد أن أخطأ تحقيق معنى الاستقامة، وهؤلاء أبين لهم طريق العودة للاستقامة، وكيفية تحقيق مفهومها من الناحية العلمية.

- المعلمون والمربون والآباء، وهؤلاء أحدثهم عن كيفية التعامل التربوي مع حديثي الاستقامة.

وسلكت في هذه الورقات مسلكين:

أولهما: أنني جعلت لغة الخطاب سلسة وواضحة، يفهمها كل شخص؛ لأن الكتاب موجه لجميع طبقات المجتمع، ولمن يهتم بهذا المجال بخاصة، فأردت ألا أجعله ألغازًا تحير القارئ.

ثانيهما: أنني سلكت فيه مسلك الاختصار غير المخل، وتركت التطويل الممل، ولم أكثر فيه من النقولات، وقد أوضحت ما يلزم إيضاحه، وما كان الحديث فيه يطول فقد أحلته إلى مراجعه.

وقد قسمت الكتاب إلى أربعة محاور، وكل محور تحته مجموعة من النقاط، وهي:

المحور الأول: مفهوم تأهيل الشاب المستقيم.

المحور الثاني: طرق تأهيل الشاب المستقيم.

المحور الثالث: قواعد مهمة لحديث الاستقامة.

المحور الرابع: المبادئ العامة في التعامل مع حديث الاستقامة.

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل ويجعله خالصًا لوجهه، إنه جواد كريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين.

المحور الأول

مفهوم تأهيل الشاب المستقيم

النقطة الأولى: تعريف مصطلحات الموضوع.

الفرع الأول: تعريف التأهيل.

التأهيل لغةً: هو من «تأهل، ائتهل» وللأمر صار له أهلًا، و«أهَّل فلانًا للأمر» صيره أهلًا له، أو رآه أهلًا له ومستحقًّا[1].

ولذلك يسمى المتزوج متأهلًا لأنه مستحقّ للزواج وأهل لتحمل المسؤولية.

تعريفه اصطلاحًا:

بعد البحث الحثيث عن تعريف (التأهيل) توصلت إلى مجموعة من التعريفات التي تتعلق بالتأهيل المهني أو الاجتماعي أو الطبي، والبعض يذكر تعريف التأهيل مقرونًا بإعادة تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة، وهذه التعريفات ليس لها علاقة بموضوعنا، لذلك تركت إيراد هذه التعريفات خشية الإطالة وآثرت إيراد تعريف واحد، وهو:

التأهيل عبارة عن مساعدة الشاب حديث الاستقامة لإيصاله إلى درجة مميزة، من النواحي الدينية والعلمية والتربوية والاجتماعية، حتى يبلغ أرفع مستوى ممكن من الكفاية والمقدرة على مواجهة الحياة اليومية للثبات في زمن الفتن.

---

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، دار الدعوة، ١/ ٣١.

الفرع الثاني: تعريف الاستقامة.

الاستقامة لغة أصلها من (ق و م): بمعنى قَام بالأمر يقوم به قيامًا فهو قَوَّامٌ وَقَائِمٌ، وَاسْتَقَامَ الأمر، وهذا قِوَامُهُ، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] أَي: عدلًا. وهو حسَنُ القوام[١]. و(استقام) الشيء اعتدل واستوى[٢].

تعريف الاستقامة اصطلاحًا:

عرفت بتعريفات كثيرة:

قال عمر بن الخطاب : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب[٣].

وقيل هو: سلوك الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، من غير تعويج عنه يمنة ولا يسرة. ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها[٤].

وقيل: هي درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيمًا في حالته ضاع سعيه وخاب جهده[٥].

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ٨/ ١٦.

(٢) المعجم الوسيط، المرجع السابق، ٢/ ٧٦٨.

(٣) معالم التنزيل، الإمام البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ٤/ ٢٠٣.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، ص ٢٠٥.

(٥) تفسير روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي، دار إحياء التراث، ٢/ ٣٢.

وقيل: الخروج عن المعهودات، ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق[١].

وقيل: الاستمرار في جهة واحدة، من غير أخذ في جهة اليمين والشمال، فاستقم على امتثال أمر الله[٢].

وقيل: الاستقامة على الإيمان بالله هي الدوام عليه حتى يلقى الله وهو على استقامته[٣].

وقيل: الثبات على الدين، بمعنى عمل الطاعات، والابتعاد عن مساخط الله وعن المحرمات[٤].

النقطة الثانية: الاستقامة في ضوء النصوص.

الفرع الأول: الاستقامة في القرآن الكريم.

المتدبر لكلام الله جل وعلا يجد أنه دعا الناس في آياته الباهرة إلى لزوم الاستقامة على دينه، حتى أنه أوجب على المسلم أن يسأله في اليوم والليلة خمس مرات أن يهديه إلى الصراط المستقيم، وبين أنه لا فلاح في الدنيا والآخرة إلا لمن استقام وأناب.

ولعلنا نذكر بإيجاز بعض الآيات القرآنية الداعية إلى الاستقامة فيما يلي:

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت / ١/ ١١٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٩/ ١٠٧.

(٣) شرح الأربعين النووية، عطية بن محمد سالم، ٦/ ٤٧.

(٤) انظر شرح الأربعين النووية بتصرف يسير، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ١/ ١٧٣.

١- قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: ٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج**» ثلاثًا «**غير تمام**» فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام! فقال: اقرأ بها في نفسك؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:** ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ **قالَ اللهُ تعالى: حمدني عبدي. وإذا قالَ:** ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ **قالَ اللهُ تعالى: أثنى عليَّ عبدي. وإذا قالَ:** ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ **قالَ: مجَّدني عبدي**» وقالَ مرَّةً: «**فوَّضَ إليَّ عبدي. فإذا قالَ:** ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ **قالَ: هذا بيني وبينَ عبدي، ولعبدي ما سألَ. فإذا قالَ:** ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ **قالَ: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل**»[(١)].

قال ابن جرير الطبري: أي: وَفّقنا للثبات على ما ارتضيتَه ووَفّقتَ له مَنْ أنعمتَ عليه من عبادِك، من قولٍ وعملٍ، وذلك هو الصِّراط المستقيم، لأن من وُفّق لما وفق له من أنعم الله عليه من النبيِّين والصديقين والشهداء فقد وُفّق للإسلام، وتصديقِ الرسلِ، والتمسكِ بالكتاب، والعملِ بما أمر الله به، والانزجار عمّا زَجره عنه، واتباع منهج النبيّ ﷺ ومنهاج أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وكلِّ عبدٍ لله صالحٍ، وكل ذلك من الصراط المستقيم. قال بعض العلماء: فجعل الله جل وعز عظم الدعاء وجملته موضوعًا في هذه السورة،

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، ٢/ ٩.

نصفها فيه مجمع الثناء، ونصفها فيه مجمع الحاجات، وجعل هذا الدعاء الذي في هذه السورة أفضل من الذي يدعو به الداعي؛ لأن هذا الكلام قد تكلم به رب العالمين، فأنت تدعو بدعاء هو كلامه الذي تكلم به[١].

ولاشك أن الاستقامة هي فضل من الله تبارك وتعالى فهنيئًا لمن نالها.

٢- قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

يقول الإمام البغوي: أي: استقم على دين ربك، والعمل به، والدعاء إليه كما أمرت ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ أي: ومن آمن معك فليستقيموا[٢].

فالله جل وعلا يأمر رسوله ﷺ وعباده المؤمنين بالثبات والدوام على الاستقامة، وذلك من أكبر العون على النصر على الأعداء ومخالفة الأضداد[٣].

وهذه الآية تجعل الشخص يقف مع نفسه وِقفة محاسبة وينظر في حالها المقصرة، فالله جل وعلا يأمر رسوله ﷺ وهو رسوله وخليله وأكثر الناس عبادة له - وهو القائل لأصحابه: «**قد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم**»[٤] - وكذلك أمر من معه من المؤمنين الذين هم لربهم طائعون ولرسوله متبعون، بالاستقامة على دينه، فماذا نقول نحن! والله المستعان!

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري، دار هجر، الطبعة الأولى، ١/ ١٧١.

(٢) معالم التنزيل، المرجع السابق، ٤/ ٢٠٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، ٤/ ٣٥٤.

(٤) رواه مسلم.

٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

أي: آمنوا بالله إيمانًا صادقًا، وأخلصوا العمل له، ثم استقاموا على توحيد الله وطاعته، وثبتوا على ذلك حتى الممات. ولو لم يكن في الاستقامة إلا هذا الجزاء العظيم لكفى، كيف لا وملائكة الرحمة تنزل على أهل الاستقامة في تلك اللحظات العصيبة، لحظات الاحتضار، تبشرهم بمغفرة الله ورضوانه وجنته التي وعدها عباده المتقين، فلا حزن بعد اليوم ولا كدر ولا مشقة، وسبب هذه البشارة أنهم استقاموا على شريعة الله في سلوكهم وأخلاقهم وأقوالهم وأفعالهم، فكانوا مؤمنين حقًّا، مسلمين صدقًا، وقد سئل بعض العارفين عن تعريف الكرامة فقال: الاستقامة عين الكرامة. وعن الحسن أنه كان يقول: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة[١].

فالاستقامة ثمرة محبة الله جل وعلا، وحقيقة المحبة له ميلهم إليه لاستحقاقه سبحانه وتعالى المحبة من جميع وجوهها[٢].

واعلم أن الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر؛ لأنها الخروج عن المعهودات، ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدي الله تعالى على حقيقة الصدق[٣].

---

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ٣/ ١٦٥.

(٢) المرجع السابق، ٣/ ١٦٧.

(٣) تفسير روح البيان، المرجع السابق، ٢/ ٣٢.

٤- قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٦-١٧].

يبين المولى جل في علاه أن الاستقامة لا تنحصر آثارها في الآخرة فقط، بل تشمل آثارها الدنيا والآخرة، فطاعة الله جل وعلا من أسباب سعة الرزق ورغد العيش.

يقول الحسن البصري رحمه الله: لو استقاموا على طاعة الله وما أمروا به لأكثر الله لهم من الأموال حتى يغتنوا بها. ثم يقول: والله إن كان أصحاب محمد لكذلك، كانوا سامعين لله مطيعين له، فلما فتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر فتنوا بها فوثبوا بإمامهم فقتلوه[١].

وقد اختلف أهل العلم في المعني بهذه الآية، فقيل إنهم الكفار، وقيل: المراد الخلق كلهم، أي لو استقاموا على الطريقة طريقة الحق والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين (لأسقيناهم ماء غدقا) أي كثيرًا، (لنفتنهم فيه) أي: لنختبرهم كيف شكرُهم فيه على تلك النعم.

وقال عمر رضي الله عنه في هذه الآية: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة. فمعنى (لأسقيناهم): لوسَّعنا عليهم في الدنيا، وضرَبَ الماء الغدق الكثير لذلك مثلًا، لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون، فأقيم مقامه[٢].

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، دار هجر - مصر، ١٥/ ٢٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ١٩/ ١٨.

الفرع الثاني: الاستقامة في السنة النبوية.

أمر النبي ﷺ صحابته والأمة عامة بالاستقامة ورغب في ذلك، وإليك بعضَ النصوص:

١- عن سفيان بن عبدالله الثقفي قال: يا رسول الله، حدِّثني بأمر أعتصم به. قال رسول الله ﷺ: «**قل (ربي الله) ثم استقم**» قال: يا رسول الله، ما أكثر ما تخاف عليَّ؟ قال: «**هذا**» وأشار إلى لسانه[١].

٢- عن أبي عمرو سفيان بن عبدالله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك. وفى حديث أبي أسامة: غيرك. قال: «**قل (آمنت بالله) فاستقم**»[٢].

٣- عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن معاذ بن جبل رضي الله عنه أراد سفرًا، فقال: يا نبي الله أوصني. قال: «**اعبد الله لا تشرك به شيئًا**» قال: يا نبي الله، زدني. قال: «**إذا أسأت فأحسن**» قال: يا رسول الله، زدني. قال: «**استقم وليحسن خلقك**»[٣].

٤- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا مربعًا، وخط في وسط الخط خطًّا، وخط خارجًا من الخط خطًّا، وحول الذي في

---

(١) رواه بن ماجه، كتاب الفتن، ٥/ ١١٥، وابن حبان، كتاب اللباس الآداب، باب ما يكره من الكلام وما لا يكره، ١٣/ ٥، وصححه الأرناؤوط.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإيمان، ١/ ٤٧.

(٣) رواه ابن حبان، كتاب البر والإحسان، فصل من البر والإحسان، ٢/ ٢٨٣.

الوسط خطوطًا، فقال: «**هذا ابن آدم، وهذا أجله محيط به، وهذا الذي في الوسط الإنسان، وهذه الخطوط عروضه، إن نجا من هذا ينهشه هذا، والخط الخارج الأمل**»(١).

٥- عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**»(٢).

وغير ذلك من النصوص النبوية الداعية إلى الاستقامة على دين الله تبارك وتعالى.

النقطة الثالثة: أهمية تأهيل الشاب المستقيم.

الشاب عندما يتوب إلى الله جل وعلا ويفارق المعاصي والذنوب، ثم يلحق بركب العائدين إلى الله والمستقيمين على أمره، تكون لديه عاطفة جياشة ورغبة جامحة في تغيير حاله بأسرع ما يمكن، وتعويض ما فاته من وقت وما ضيعه من عمر قبل استقامته، والإكثار من الطاعات وزيادة الحسنات، حتى يتدارك الأيام والليالي، وهذا مطلب سامٍ.

بيد أن هذا الاندفاع العاطفي وتغيير السلوك المفاجئ إذا لم يكن مدروسًا ومضبوطًا بضوابط الشريعة الإسلامية، فإنه يقود إلى الانتكاسة وترك العمل كليًّا؛ ذلك لأن البعض قد عاش -قبل استقامته- حقبة من الزمن اعتاد فيها

---

(١) رواه الترمذي، صفة القيامة والرقائق والورع، ٤/ ٦٣٥، وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء، ١/ ١٨٤. ورواه الإمام أحمد، مسند الأنصار، عن ثوبان، ٥/ ٢٧٦، وصححه الأرناؤوط.

ممارسة جملة من المعاصي ، حتى أصبح اقترافها سلوكاً عاديًّا لديه وجزءً لا يتجزأ من شخصيته ، ولم يعتد المداومة على فعل الطاعات ولو كانت هذه الطاعة هينة، فالانتقال المفاجئ من سلوك معين، وعادة مستمرة أو مزمنة، والانقطاع التام عنها دون تأهيل، ثم إلزام النفس أعمالًا جديدةً دون تدرج أو ضبط، يقود غالبًا إلى ترك العمل بالكلية، وليس الإشكال في الانقطاع عن الذنب، بل هو الواجب؛ لأن من شروط التوبة الصادقة الإقلاع عن الذنب ومفارقته، ولكن الإشكال يعود إلى إلزام النفس بقسوة وغلظة ببعض الأعمال التي قد تكون مندوبة، أو منعها من أمور أباحتها الشريعة، ويكون هذا الإلزام أو المنع مطلقًا دون تدرج أو موازنة، وهذه نتيجة حتمية ولازمة - أعني ترك العمل بالكلية في الأعمال الدنيوية - فما بالك به في الأعمال الأخروية! لا سيما أن في الطاعة مشقة، والجنة حفت بالمكاره.

وتبرز أهمية تأهيل المستقيم روحيًّا من جوانب عديدة، ذلك لأن البعض يظن أن الدين كله في الشدة والتنطع، ثم بعد أن يمن الله عليه بفهم واضح واطلاع راجح يتوصل إلى أن الشدة ليست من الدين في شيء، وقد نهى النبي ﷺ عن التنطع في الدين.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون**» قَالَهَا ثَلاَثًا[1]. أي: المتشددون.

---

(١) رواه مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ٨/ ٥٨.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**لا صرورة في الإسلام**»[(١)].

والصرورة: التبتل وترك النكاح.

فالهدف من هذا التأهيل تحقيق الشاب المهتدي للاستقامة بمعناها الصحيح، لا رهبانية يبتدعها في الدين.

وعلى العكس من ذلك يوجد من يعتقد أن الاستقامة اعتناء بالمظهر دون عناية بإصلاح السرائر وتزكية للنفس، فلم يتبدل من حاله سوى المظهر الخارجي، وغير ذلك من القواعد مما سنأتي عليه لاحقًا بإذن الله.

وتبرز أهمية تأهيل المستقيم علميًّا في مجموعة من الجوانب أيضًا، فأحيانًا يندفع المهتدي لطلب العلم دون استشارة، فيقع في مجموعة من الأخطاء التي تتعلق أحيانًا بمنهجية طلب العلم، فتجده متخبطًا، يريد الخير لكن لم يسلك مسلكه، فيبدأ بالشروحات قبل المختصرات، والمطولات قبل المداخل، أو قد يكون في الجانب المقابل لذلك، فتجده صادًّا عن طلب العلم وما يجب عليه معرفته، ويزهد في العلماء والتزامهم بحجة التفرغ للعبادة، وما علم المريد أن طلب العلم عبادة جليلة، وقد أعد الله لسالك هذا الدرب الأجر العظيم والثواب الجزيل، وأخبر أن أكثر الناس عبادة وخشية له هم العلماء، قال تعالى: ﴿ يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨] وما أعده الله جل وعلا للعلماء الربانيين الذي لا يخشون سواه من النعيم المقيم في جنات النعيم، وأن طلبه للعلم مما يزيده ثباتًا وتقوِّيًا حتى الممات.

---

(١) رواه أبوداود، كتاب المناسك، باب لا صرورة في الإسلام، ٢/ ٧٤.

وبعض حديثي الاستقامة يبدأ في الدعوة إلى الله دون طلب للعلم، فينسب للدين ما ليس منه، وهذا من الأخطاء الفاحشة كما سيأتي بيانها.

وتبرز أهمية تأهيل المستقيم تربويًّا واجتماعيًّا من نواحٍ عدة، فالشاب المستقيم يحتاج إلى تربية إيمانية عميقة لتنظيم علاقته مع الآخرين، فالمستقيم عضو في المجتمع، وتأهيله يجعله عضوًا مؤثرًا ونافعًا لوطنه ومجتمعه وأمته، حيث إن تأهيله ينظم علاقته بوالديه وإخوانه وزوجته وأبنائه وأصدقائه وعماله وعمله وبيئته وغيرها، فالشاب المستقيم في الغالب لا يمثل نفسه أو عائلته بقدر ما يمثل شريحة عظيمة في المجتمع، ألا وهي شريحة المستقيمين، فصوابه وخطؤه ينسب لاستقامته ودينه، لذلك وجب تأهيله تربويًّا واجتماعيًّا.

إن تأهيل الشاب المستقيم يساعده على رسم طريق واضح في حياته الجديدة، بحيث لا يتخبط أو يجتهد اجتهادًا يقوده إلى الانتكاسة أو سلوك الطريق الخاطئ، ذلك لأن بعض الدعاة قد يؤثر في مجموعة من الشباب بكلماته الجميلة أو أسلوبه الرائع في الدعوة إلى الله، تبارك وتعالى، فيهتدي على يديه العشرات من الشباب، فيفرح لذلك، لكن المشكلة تكمن في أنه لم يتمكن من الاستمرار مع هؤلاء المهتدين لانشغاله أو سفره، أو أنه لا يستطيع أن يؤهلهم ويرسم لهم منهاجًا وقواعد يسيرون عليها.

وقد تكون المشكلة في ارتكاب بعضهم أخطاء تزهد المهتدي في الاستقامة، ذلك لأن بعضهم يكون فيه خير عظيم، ويأتيه المهتدي طالبًا مساعدته، فيشفق عليه ويحاول أن يقدم له الخير ويدله عليه، لكن يقع في كثير من

الأخطاء الفاحشة في التأهيل أو المنهجية اجتهادًا منه دون بصيرة أو علم، والضحية هو هذا المهتدي، ورحم الله امرءًا عرف قدر نفسه، أو قد يرتكب بعض التصرفات يحمله عليها العداوة الشخصية بغرض التشفي أو العنصرية أو غير ذلك، وهو ما يدعو البعض إلى الظن أن هذه هي صفات المستقيمين، ومن ثم تقوده هذه المواقف إلى العزوف عن الاستقامة.

وأخيرًا تبرز أهمية هذا الكتاب في تحديد منهجية واضحة يسير عليها المهتدي عند عدم وجود الصديق الصالح المعين على الطاعة، أو عدم وجود المربي والمعلم المثالي، ولذلك يستعين به المختصون في تأهيل المهتدين.

۞۞۞

المحور الثاني

طرق تأهيل الشاب المستقيم

النقطة الأولى: تأهيل الشاب المستقيم روحيًّا.

إن للطاعة لذة عظيمة لم يذق طعمها بل لم يَرِحْ رائحتها سوى المؤمن، ولذلك تهون على المؤمن مشقة التكليف عند التأمل في أثر هذه العبادة، مما أعده الله، عز وجل، لعباده المؤمنين من النعيم الأبدي في جنان الخلد، والأجمل من ذلك كله رؤية وجهه الكريم الذي تتوق له كل نفس، وكفى به نعيمًا (نور على نور) وقد قيل: إن مشقة الطاعة تذهب ويبقى ثوابها وإن لذة المعاصي تذهب ويبقى عقابها.

ولكن الشيطان حريص كل الحرص على صد المؤمن عن الطاعة وتثبيطه عنها أو تثقيلها عليه، فيدخل على المسلم من أحد طريقين؛ إما من باب الشهوات وإما من باب الشبهات، وهذا ما حكاه الله على لسان إبليس حيث قال تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٤-١٧] وعند غفلة المسلم عن الطاعة وإسرافه على نفسه بالذنوب يدخل عليه الشيطان من باب الشهوات، فيزين له المعاصي ويحببها إلى قلبه، ويكره إليه الحلال ويبغضه فيه.

فإن لم ينجح في تضليل المسلم من باب الشهوات دخل عليه من باب الشبهات فوسوس إليه وشككه في دينه، وألقى في قلبه الشبهات تلو الشبهات.

وقد بين النبي ﷺ كيف يصنع المسلم إذا ألقى الشيطان في قلبه الشبهة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلق السماء؟ فيقول: الله عز وجل. فيقول: من خلق الأرض؟ فيقول: الله. فيقول: من خلق الله؟ فإذا أحس أحدكم بشيء من هذا فليقل: آمنت بالله وبرسله**»(١).

ونعني بالتأهيل الروحي هنا تلك القواعد والمبادئ العامة التي يسير عليها المهتدي عند بداية استقامته لكي يؤهل نفسه على تحمل مشقة التكليف والإقلاع عن المعاصي والذنوب في ضوء الكتاب والسنة دون إفراط أو تفريط.

فإليك أخي المستقيم بعض القواعد المهمة للتأهيل الروحي لا بد من مراعاتها عند بداية استقامتك:

علاقتك مع الله:

أي أن يكون الهدف من استقامتك هو الرجوع إلى الله تبارك وتعالى منيبًا إليه وخاضعًا له وخاشعًا بين يديه، ترجو رحمته وتخاف عذابه وتبتغي رضاه، والداعي لهذا الرجوع هو محبة الله تبارك وتعالى، فلا تتوب لخوف مرض ما، أو لتبتغي رضا الناس، بل رجوعك هو لله وحده لا شريك له، فإذا عدت إليه فاحرص أن تريه من الطاعات والتضحيات ما ترجو أن تنال به محبته وتكون هذه الطاعات شفيعةً لك يوم تلقاه، ومحبة الله ليست ادعاءً أو تمنيًا فقط، بل لا

(١) رواه الإمام أحمد، مسند أبو هريرة، ٢/ ٣٣١، يقول الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

بد من عمل يؤهلك لكي تكسب محبته، فالبعض عندما يستقيم تتغير علاقته مع من حوله في بيته أو خارج بيته، وقد يشتغل بأمور نافعة للناس مباحة كانت أو مندوبة، وقد تكون له أحيانًا دعوة إلى الله مباشرة أو غير مباشرة، أو تكون له وقفات جميلة وعلاقات حميمة، أو تكون له مشاركات في برامج دعوية وخيرية وتجد الكثير يثني عليه ويشكر له فعله وبذله، ولكن عندما تنظر لحاله مع ربه لا تجد له أي علاقة، فلا يتجاوز الفروض، ولا تجد له قيامًا بين يدي الله في جوف الليل، ولا ينطق لسانه بذكر الله إلا يسيرًا، وقد أخبر الله عن المنافقين أنهم لا يذكرون الله إلا قليلًا! ولا تجد له صدقات يتعاهدها بين الفينة والأخرى.

بل إن بعض المستقيمين لا يحافظ على الفرائض فضلا عن النوافل، وتجده ينادي في الساحات الدعوية؛ أن توبوا إلى الله وأنيبوا إليه، وقد يكون له برامج إغاثية، ويطلق كثيرا من الشعارات الدعوية والخيرية، ويحرص على إصلاح الناس، ولم يجلس مع نفسه لينظر في شأنها ويتدارك ما لها وما عليها، والله تعالى يقول: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] فما فائدة الاستقامة وما أثرها فيك إذا لم يكن لك مع ربك علاقة وطيدة ومواقف حميدة! وماذا جنيت من هذه الاستقامة إذنْ!

وهذا خطأ جسيم، وهو من مداخل الشيطان على المستقيم بأن يشغله ويصده عن معرفة ربه والقرب منه ولذة مناجاته بالذي هو أدنى منه ويحسب أنه على خير، وإن لم يتدارك المستقيم هذا الخطأ في بداية استقامته فإنه سيخسر الشيء الكثير، ولذلك نقول إنه لا بد على المستقيم أن يبدأ حياته الجديدة

بتغيير علاقته مع ربه، بتحقق التوحيد لله أولًا، فلا يخاف إلا من الله. قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥] ولا يخشى سواه، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٠] ولا يحرص على أن يظهر للناس الطاعات ويبارز الله بالمعاصي في الخلوات، قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء: ١٠٨].

ليكن بينك وبين الله، جل وعلا، حياء أن يراك فيما نهاك عنه، وليحملك هذا الحياء على ترك السيئات، ولو شجعك عليها الناس أو لم يروك.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء**» قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله. قال: «**ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»(١).

وكذلك يقودك هذا الحياء إلى مجاهدة النفس والصبر على طاعة الله، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والزهد، ٤/ ٦٣٧، وحسنه الألباني.

فهذا أبو بكر ﷺ يحلف على ألا ينفق على مِسْطَح بن أُثَاثة ﷺ بعد أن تكلم في عرض عائشة ﷺ فَأَنْزَلَ الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [نور: ٢٢]، قال أبو بكر: بلى والله، إني أحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا(١).

والصور المشرقة في هذا الباب كثيرة جدًّا.

ولا تحرص على تنمية علاقتك بالناس بقدر ما تحرص على توثيق علاقتك بربك، واعلم بأنه إذا رضي عنك أرضى عنك الناس ولو أسخطتهم لأجل مرضاته.

كتب معاوية إلى عائشة أم المؤمنين ﷺ أن اكتبي إلي كتابًا توصيني فيه ولا تكثري عليَّ. فكتبت عائشة ﷺ: إلى معاوية، سلام عليك، أما بعد فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، والسلام عليك**»(٢).

ولا تجعل الله أهون الناظرين إليك.

قال بعضُ العارفين: اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة النور، ٦/ ١٣٢.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب منه، ٤/ ٦٠٩، وصححه الألباني.

وقال بعضُهم: خَفِ الله على قدر قُدرته عليك، واستحي من الله على قدر قُربه منك.

قالت بعضُ العارفات من السَّلف: مَنْ عملَ للهِ على المُشاهدة فهو عارفٌ، ومن عمل على مشاهدة الله إيَّاهُ فهو مخلص[١].

وكان بعضُ السَّلف يقول: أتراك ترحم مَنْ لم تقرَّ عينيه بمعصيتك حتَّى علم أنْ لا عين تراه غيرك!

وقال بعضُهم: ابنَ آدم، إنْ كنتَ حيث ركبتَ المعصية لم تَصْفُ لك مِن عينٍ ناظرةٍ إليك، فلما خلوتَ بالله وحده صَفَتْ لك معصيتُهُ، ولم تستحي منه حياءك من بعض خلقه، ما أنت إلا أحد رجلين: إنْ كنت ظننتَ أنَّه لا يراك فقد كفرتَ، وإنْ كنت علمتَ أنَّه يراك فلم يمنعك منه ما منعك مِن أضعف خلقه لقد اجترأت عليه.

ودخل بعضُهم غَيضة ذات شجر، فقال: لو خلوتُ هاهنا بمعصيةٍ مَنْ كان يراني! فسمع هاتفًا بصوت ملأ الغَيْضَةَ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

وراود بعضُهم أعرابيةً وقال لها: ما يرانا إلا الكواكبُ. قالت: فأين مُكوكِبُها!

ورأى محمد بن المنكدر رجلًا واقفًا مع امرأة يُكلمها فقال: إنَّ الله يراكما، سترنا الله وإياكما[٢].

---

(١) جامع العلوم والحكم، بن رجب الحنبلي، ٤/ ٥٢.

(٢) المرجع السابق، ٢٠/ ١٩.

وقد حكي عن أويس القرني وهرم بن حيان أنهما التقيا يومًا، فقال هرم لأويس: ادع الله. فقال: يصلح لك نيتك وقلبك فلن تعالج شيئًا أشد منهما، بينما قلبك مقبل إذ هو مدبر، وبينما هو مدبر إذ هو مقبل، ولا تنظر إلى صغير الخطيئة وانظر إلى عظمة من عصيت، فإنك إن عظمتها فقد عظمت اللهّ تعالى، وإن صغرتها فقد صغرت اللهّ تعالى[1].

لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها:

اعلم - أيها المستقيم - أن الله رحيم بهذه الأمة، فلم يكلفها من الأعمال إلا ما تطيق، وقد دل على ذلك مجموعة من النصوص.

يقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال عز شأنه: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧].

وسبب نزول آية البقرة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قال:

---

(١) تفسير التسترى، سهل بن عبد الله التسترى، دار الكتب العلمية، ص ١٤١.

فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق؛ الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية، ولا نطيقها! قال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم؛ سمعنا وعصينا! بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**» فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم، فأنزل الله في إثرها ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى وأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ قال: نعم ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ قال: نعم[(١)].

وسبب إيراد هذه الآية هنا أن المستقيم حريص بداية استقامته على فعل أكبر قدر من الطاعات في وقت وجيز، لكن قد لا تستطيع نفسه تحمل كل هذه الطاعات دفعة واحدة، لأن الناس تتفاوت طاقاتهم وقدراتهم، فقد يفتح على شخص ما في طلب العلم فلا يكل ولا يمل، لكنه لا يقوى على الصيام - أعني النفل - وآخر يستطيع أن يصوم مثل صيام داود، عليه السلام، يصوم يومًا

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه، ١/ ٨٠.

ويفطر يومًا، لكنه لا يستطع أن يصبر على طلب العلم، فلا ينكر أو يؤاخَذ على هذا ولا ذاك، فتكليف النفس ما لا يطاق محال، وعندما يقوم المستقيم بتكليف نفسه ما لا تطيق فإن ذلك يؤدي غالبًا إلى الفتور، وهذا يقود إلى العجز.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا**» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «**لو قلت (نعم) لوجبت، ولما استطعتم**» ثم قال: «**ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**»(١).

ولا يعني ذلك التكاسل عن الطاعات أو الاكتفاء بطاعة واحدة، بل لا بد للمؤمن أن يكون له نصيب في كل عمل صالح، وأن يجاهد نفسه ولا يتوانى عن فعل الطاعات واكتساب الحسنات، لكن يراعي في ذلك التدرج وألا يكلف نفسه ما لا تطيق.

التدرج مع النفس:

وهذه النقطة إنما هي استكمال لسابقتها، فينبغي لك - أخي المستقيم - أن تتدرج مع نفسك وتفهمها وتأخذها بالسياسة إلى سبل الطاعة، فتبدأ بالأيسر فاليسير، والأقل فالقليل، حتى تعتاد عليها، ولذلك قيل: قليل دائم خير من كثير منقطع.

---

(١) متفق عليه.

والتدرج مع النفس في تحصيل الطاعات يجعلها متقبلة لها ومداومة عليها، وعلى العكس من ذلك فإن إجبار النفس على الإكثار من الطاعات المندوبة دون تدرج يؤدي إلى تركها مطلقًا، وقد نبه النبي ﷺ إلى هذا المعنى.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا عبدالله، لا تكن مثل فلان؛ كان يقوم الليل فترك قيام الليل**»(١).

وذلك لأنه فتر عن هذه العبادة.

ومن أسباب الفتور عن الطاعات الإكثار على النفس وعدم التدرج معها، لذلك كان النبي ﷺ يتدرج مع أصحابه عندما يستشيرونه فيما يتقربون به إلى الله.

فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**صم من الشهر ثلاثة أيام**» قال: أطيق أكثر من ذلك. فما زال حتى قال: «**صم يومًا وأفطر يومًا**» فقال: «**اقرأ القرآن في كل شهر**» قال: إني أطيق أكثر. فما زال حتى قال: «**في ثلاث**»(٢).

وعنه قَالَ: أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كَنَّتَه فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل؛ من رجل لم يطأ لنا فراشًا ولم يفتش لنا كنفًا مذ أتيناه! فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال: «**القني به**» فلقيته بعد، فقال: «**كيف تصوم؟**» قال: كل يوم. قال: «**وكيف تختم؟**» قال: كل ليلة. قال: «**صم في كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر**» قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك.

---

(١) رواه البخاري، أبواب التهجد، باب ما يكره من ترك قيام الليل، ٢/ ٦٨.

(٢) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم وإفطار يوم، ٣/ ٥٢.

قال: «**صم ثلاثة أيام في الجمعة**» قلت: أطيق أكثر من ذلك. قال: «**أفطر يومين وصم يومًا**» قال: قلت أطيق أكثر من ذلك. قال: «**صم أفضل الصوم؛ صوم داود، صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة**» فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذاك أني كبِرت وضعفت، فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أيامًا وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئًا فارق النبي ﷺ عليه[1].

فيجب التدرج في الطاعة، فمن كان لا يقوم الليل فليقم بركعة واحدة حتى تعتاد نفسه القيام، ثم بثلاث ثم بخمس ثم بسبع وهكذا.

ومن لم يكن له نصيب من الصيام، إلا رمضان فقط، فإنه يصوم يوم عرفة وعاشوراء وستًّا من شوال، ثم صيام ثلاثة أيام من كل شهر، ثم الاثنين والخميس، ثم الأيام البيض وهكذا.

ومن لم يكن له نصيب من قراءة القرآن فليبدأ بقراءة وجه ثم وجهين ثم حزب ثم جزء، وهكذا حتى تعتاد نفسه على قراءة القرآن، وهذا يورثه المداومة على الطاعة بإذن الله.

قال النووي: بدوام القليل تستمر الطاعة بالذكر والمراقبة والإخلاص والإقبال على الله، بخلاف الكثير الشاق، حتى ينمو القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة.

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن، ٦/ ٢٤٢.

وقال ابن الجوزي: إنما أُحب الدائم لمعنيين:

أحدهما: أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصل، فهو متعرض للذم، ولهذا ورد الوعيد في حق من حفظ آية ثم نسيها، وإن كان قبل حفظها لا يتعين عليه.

ثانيهما: أن مداوم الخير ملازم للخدمة، وليس من لازم الباب في كل يوم وقتًا ما كمن لازم يومًا كاملًا ثم انقطع(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الإنسان إذا وجد مشقة في الطاعة فليرتح ثم ليأتيها حال نشاطه ومقدرته، فقيام الليل مثلًا لا يشترط فيه التتابع.

فعن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه**»(٢).

وعنها قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأة فقال: «**من هذه؟**» فقلت: امرأة لا تنام؛ تصلي. قال: «**عليكم من العمل ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا**» وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه(٣).

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، ١/ ١٠٣.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن بأن يرقد، ٢/ ١٩٠.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه؛ فلم يدر ما يقول، فليضطجع**»[١].

إلى غير ذلك من النصوص.

ويجدر التنبيه أخيرًا إلى أن التدرج مجاله النوافل والمستحبات فقط ولا يسوغ في الفرائض والواجبات.

الوسطية بين التنطع والتمييع:

يخالف بعض حديثي الاستقامة الوسطية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ودلت عليها، فبعضهم يظن أن الدين كله في الشدة والتنطع، ثم بعد أن يمن الله عليهم بفهم واضح واطلاع راجح يتوصلون إلى أن الشدة ليست من الدين في شيء، فتجد بعضهم يحذر مما أباح الله، ويوبخ فاعله ويصفه بأقبح الصفات بل قد يحذر وينفر الناس منه، وقد نهى النبي ﷺ عن التنطع في الدين.

فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون**» قالها ثلاثا[٢]. أي: المتشددون.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا صرورة في الإسلام**»[٣]. والصرورة بمعنى: التبتل وترك النكاح.

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن بأن يرقد، ٢/ ١٩٠.

(٢) رواه مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ٨/ ٥٨.

(٣) رواه أبوداود، كتاب المناسك، باب لا صرورة في الإسلام، ٢/ ٧٤.

ولذلك حذر النبي ﷺ من بعض السلوكيات التي يفعلها بعض مريدي الخير التي تتسم بالشدة والقسوة على النفس دون أن يكون هذا الصنيع من هدي النبي ﷺ.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تَقَالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر! قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»(١).

فشرطا قبول العمل: أن يكون هذا العمل خالصًا لوجه الله، ومتابعًا فيه لرسول الله ﷺ. فإذا اختل أحد هذين الشرطين فالعمل مردود على صاحبه، بل قد حذر النبي ﷺ من هؤلاء الصنف من الناس.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يرى شيئًا، وينظر في القدح فلا**

(١) متفق عليه.

يرى شيئًا، وينظر في الريش فلا يرى شيئًا، ويتمارى في الفوق»[1].

وعلى العكس من ذلك يوجد من يرى أن الاستقامة اعتناء بالمظهر دون عناية بإصلاح السرائر وتزكية للنفوس، فلم يتبدل من حالهم بعد استقامتهم سوى المظهر الخارجي، فيجتمعون على التسلية والترفيه، وتفتقدهم في الصفوف الأولى في المساجد، بل لا تجدهم أحيانًا، لم يأخذوا من الاستقامة سوى الاسم، واتخذوا الخلاف دليلًا يرجحون به ما يهوون من الأقوال، ويميعون النصوص، ولو كانت قطعية، فإن قلت له مثلًا: لماذا تستمع إلى المعازف ؟ قال: المسألة مختلف فيها. فإن قلت: ما هي أدلة الفريقين؟ أو ما هو دليلك في المسألة؟ أو هل سألت من تثق في علمه ودينه؟ لم يجبك؛ لأنه لا يملك دليلًا، ولم يقرأ المسألة أصلًا، ولم يسأل أهل العلم، لكنه سمع بقول يوافق هواه فأخذ به.

وبعضهم يحيي المهرجانات والاحتفالات بتمايل وتراقص زاعمًا أنه على خير ودعوة، فلا تجد له من قيام الليل نصيبًا، ولا لغير رمضان صائمًا، بل قد تجده لذكر الله هاجرًا، وعلى الكذب متجرئًا، وللمواعيد مخلفًا.

فلا يعنيه قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٧-١٩].

ولم يدركوا صفات المؤمنين التي بينها الله جل وعلا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

(١) متفق عليه.

ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

ولم يحرصوا على تزكية أنفسهم، والله تعالى يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

وقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

بل وصل الحال ببعضهم إلى التساهل في تأخير الصلاة عن وقتها، وإظهار بعض العورة، وعدم إنكار المنكر حال تعينه عليه، وملازمة الصحبة السيئة، إلى غير ذلك من مظاهر التمييع.

ولابد أن يكون المستقيم وسطًا بين الإفراط والتفريط، وبين التنطع والتمييع، فلا دعت الشريعة الغراء لهذا ولا ذاك، يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال البغوي رحمه الله: أي عدلًا خيارًا. قال الله تعالى: ﴿قَالَ ﴾ أي: خيرهم وأعدلهم. وخير الأشياء أوسطها.

وقال الكلبي: يعني أهل دينٍ وسط بين الغلو والتقصير، لأنهما مذمومان في الدين[١].

والوسطية حق بين باطلين، فلا إفراط ولا تفريط.

يقول ابن سعدي رحمه الله: فجعل الله هذه الأمة وسطًا في كل أمور الدين، وسطًا في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفاهم كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطًا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى[٢].

النقطة الثانية: تأهيل الشاب المستقيم علميًّا.

إن تأهيل المستقيم علميًّا من الأهمية بمكان، والمقصود بالعلم هنا هو العلم الشرعي، وهو الزاد الذي يوصله إلى معرفة ربه ودينه ونبيه، فمعرفة الله تبارك وتعالى بالآيات البينة والحجج الواضحة تورث الإنسان خشية له وحبًّا، ومعرفة الدين بأصوله وفروعه وأحكامه تزيد الإنسان بصيرة فيما يتقرب به إلى مولاه، وكذلك معرفة الرسول ﷺ ومتابعته هي السبيل الموصلة إلى رضا

(١) تفسير البغوي، المرجع السابق، ١/ ١٥٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن سعدي، مؤسسة الرسالة، ١/ ٧٠.

الله والجنة، فإليك أخي المستقيم بعض القواعد المهمة للتأهيل العلمي لا بد من مراعاتها عند بداية استقامتك:

التخلية قبل التحلية:

إذا قدم لك مضيفك كوبا قذرا، وقد سكب لك فيه عسلا طبيعيا، فهل ستشرب منه؟ سيكون جوابك هو النفي، وسبب رفضك شرب هذا العسل اللذيذ هو قذارة الكوب الذي يحتويه، فنفسك تأبى شرب العسل من هذا الكوب، وقد توبخ المضيف على هذا الصنيع، ولو قدمه إليك بعد غسل الكوب تغسيلًا جيدًا لشربته وشكرت له صنعه.

وكذلك قلبك - أيها المستقيم - إذا قمت بطلب العلم الشرعي دون أن تقوم قبل ذلك بتطهيره وتزكيته من درن الذنوب والمعاصي، فإنك كمن يضع العسل في الكوب المتسخ، فلابد أن تتوب إلى الله توبة نصوحة، أي لا رجعة فيها إلى الذنب أبدًا، قال الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم: ٨] ولهذا قال العلماء: التوبة النصوح هي أن يُقلعَ عن الذنب في الحاضر، ويندمَ على ما سلف منه في الماضي، ويعزِم على ألا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لآدمي ردّه إليه[١].

---

(١) تفسير ابن كثير، المرجع السابق، ٨/ ١٦٩.

فالبعض عند استقامته يبدأ في قراءة الكتب وطلب العلم، ولكنه ما زال قابعًا على معاصيه السابقة، مقترفًا لها آناء الليل وأطراف النهار، وبعضهم إن سألته في مسألة علمية فصل لك المسألة وحرر محل النزاع وساق لك الأدلة، ثم فندها وبين مقبولها ومردودها، بيد أن هذا العلم لم يؤثر فيه أو ينفعه، ولا تبدو عليه مظاهر الصلاح والخشية، ذلك لأن قلبه لم يذق طعم الإيمان، ولأنه بدأ بالفروع قبل الأصول، كيف يريد أن ينفع الله به وبعلمه من لا زال قلبه متعلقًا بغير الله، ولم يجرد قلبه مما فيه من حب المعاصي والتعلق بها، وما زالت نفسه تتوق إلى مزاولتها واقترافها، ولم يصنع حاجزًا يحول بينه وبينها، مستنده الإيمان بالله تبارك وتعالى ويتخذ لذلك قرارًا شجاعًا.

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عيسى أخيه قال: دخلت على عبد الله بن عكيم أبي معبد الجهني أعوده وبه حمرة فقلنا: ألا تعلق شيئًا؟ قال: الموت أقرب من ذلك، قال النبي ﷺ: «**من تعلق شيئًا وُكِلَ إليه**»[1].

وهؤلاء الصنف لهم حالان: إما أنهم لم ينتفعوا بعلمهم فكان حجة عليهم لا لهم، وإما أنهم انتكسوا وتركوا العلم وأهله، وذلك لأنه لم يصاحبهم توفيق وتسديد من الله تبارك وتعالى يضيء لهم الدرب ويسهل عليهم الصعاب.

ينبغي لك - أخي المستقيم - قبل طلبك للعلم أن تبدأ بتخلية قلبك من جميع الشوائب مما يصدك عن سبيل الله ويسقطك من عينه، فلا تطلب العلم

---

(١) رواه الترمذي، كتاب الطب، باب كراهية التعليق، ٤/ ٤٠٣، وحسنه الألباني.

وقلبك لا زال متعلقًا بغناء ماجن، أو مناظر ساقطة، أو شراب يفسد العقل والجسم، أو غيرها من محارم الله.

واحرص أن يكون اهتمامك بداية استقامتك منصبا على تهذيب روحك وتأهيلها بالإيمان بالله، ومراقبته وخشيته، والتوبة من كل ذنب وخطيئة.

واعلم أن اقترافك للمعاصي والإصرار عليها سبب لهوانك على ربك وهوان المعاصي عليك.

يقول ابن القيم رحمه الله: المعصية سبب لهوان العبد على ربه وسقوطه من عينه، قال الحسن البصري: هانوا عليه فعصَوه، ولو عزوا عليه لعصمهم. وإذا هان العبد على الله لم يكرمه أحد، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨] وإن عظمهم الناس في الظاهر لحاجتهم إليهم أو خوفًا من شرهم، فهم في قلوبهم أحقر شيء وأهونه هوانَ المعاصي على المصرِّين، ومنها أن العبد لا يزال يرتكب الذنب حتى يهون عليه ويصغر في قلبه، وذلك علامة الهلاك، فإن الذنب كلما صغر في عين العبد عظم عند الله[1].

لا تسوف هذا الأمر وتقول: سأطلب العلم ثم أغير من حالي في الأيام القادمة. بل احرص أن تؤهل نفسك روحيًّا وأن تتوب إليه على الفور من كل ذنب وخطيئة، فلا تدري متى ينزل بك الموت.

يقول ابن الجوزي رحمه الله: وقد حكى بعض المعتبرين عن شيخ أفنى

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، بن القيم، دار المعرفة، بيروت، ص ٥٨.

عمره في علوم كثيرة، أنه فتن في آخر عمره بفسق أصر عليه وبارز الله به، كانت حاله تعطي بمضمونها أن علمه يدفع عنه شر ما هو فيه ولا يبقى له أثر، وكان كأنه قد قطع لنفسه بالنجاة، فلا يُرى عنده أثر لخوف ولا ندم على ذنب. قال: فتغير في آخر عمره ولازمه الفقر، فكان يلقى الشدائد ولا ينتهي عن قبح حاله، إلى أن جمعت له يومًا قراريط على وجه الكدية فاستحى من ذلك وقال: يا رب إلى هذا الحد! قال الحاكي: فتعجبت من غفلته كيف نسي الله عز وجل، وأراد منه حسن التدبير له والصيانة وسعة الرزق، وكأنه ما سمع قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٦-١٧] ولا علم أن المعاصي تسد أبواب الرزق وأن من ضيع أمر الله ضيعه الله، فما رأيت علمًا ما أفاد كعلم هذا، لأن العالم إذا زل انكسر، وهذا مصر لا تؤلمه معصيته، وكأنه يجوز له ما يفعل، أو كأن له التصرف في الدين تحليلًا وتحريمًا، فمرض عاجلًا ومات على أقبح حال[1].

والنفس إذا اعتادت معصية الله تبارك وتعالى ألفتها وصعب عليها تركها والإقلاع عنها، وإلف المعصية بعد الاستقامة أشد منه قبل الاستقامة؛ ذلك لأنك قبل استقامتك كنت تفعل هذه المعصية وغيرها، وأنت تعلم أنك عاصٍ عازمًا على التوبة منها يومًا ما، وعند الاستقامة تتكون لديك عزيمة قوية لمفارقة

(١) صيد الخاطر، ابن الجوزي، ١/ ١٤٧.

جميع الذنوب والمعاصي، وعندما تغض الطرف عن ذنب ما وتمارسه وأنت مستقيم يجعله مألوفًا لديك، وقد يدخل عليك الشيطان فيقول لك: إنك لن تستطيع أن تفارق هذه المعصية، ولو كنت مستطيعًا لتركتها منذ بداية استقامتك. أو قد يسوف لك التوبة منها حتى تمارس هذه المعصية بعد الاستقامة أكثر من ممارستك لها قبل استقامتك، فتصبح جزءًا لا يتجزأ من شخصيتك، ويصعب عليك فراقها، لا سيما أن عزيمتك الآن أضعف منها في أول استقامتك، وهذا من مداخل الشيطان على بعض المستقيمين، فاحذر أن تكون منهم.

العلم قبل الدعوة:

في بداية الاستقامة يحرص الشاب المهتدي أن يدعو كل من حوله إلى هذا الخير الذي هداه الله إليه، فيدعو من حوله إلى التوبة إلى الله والرجوع إليه وترك الذنوب والعصيان، يحمله على ذلك فطرته السليمة وحب الخير للغير، وهذا مقصد نبيل، ولا شك أن الدعوة إلى الله جل وعلا هي وظيفة الأنبياء، وقد بين الله في كتابه العزيز فضل الدعوة إليه فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وأخبر أن النجوى لا خير فيها ما لم يكن فيها أمر بخير، قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

ولا شك أن الدعوة إلى الله هي خير ما يتناجى به، وأرشد النبي ﷺ إلى هذه الوظيفة الجليلة حيث قال ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**».

وقال ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا**»(١).

وقال ﷺ يوم خيبر لعلي رضي الله عنه: «**فو الله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»(٢).

بيد أن الخطأ العظيم الذي لا يغتفر هو تخبط البعض من حديثي الاستقامة في الدعوة من نواحٍ عدة: منها الدعوة بدون علم وبصيرة، والخطأ في الأسلوب أو الطريقة الدعوية، والخطأ في فهم نصوص الشريعة ودلالاتها، إلى غير ذلك من التخبطات، والمخرج من ذلك ألا يدعو الإنسان إلا بعد طلبه للعلم وملازمة العلماء.

قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] فبدأ بطلب العلم قبل الاستغفار.

وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه: باب العلم قبل القول والعمل، لقول الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فبدأ بالعلم. وأن العلماء هم ورثة الأنبياء - ورثوا العلم - من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقًا يطلب به علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة(٣).

---

(١) رواه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ٨/ ٦٢.

(٢) متفق عليه.

(٣) صحيح البخاري، المرجع السابق، ١/ ٢٦.

وهذا من فقهه، رحمه الله تعالى، قال ابن المنيِّر: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم إن العلم لا ينفع إلا بالعمل تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه، قوله (فبدأ بالعلم) أي حيث قال: فاعلم أنه لا إله إلا الله. ثم قال: واستغفر لذنبك. والخطاب وإن كان للنبي ﷺ فهو متناول لأمته[١].

فالعلم إمام العمل وقائد له، والعمل تابع له ومؤتم به، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتديًا به فهو غير نافع لصاحبه بل مضرة عليه، كما قال بعض السلف: من عبدالله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح. والأعمال إنما تتفاوت في القبول والرد بحسب موافقتها للعلم ومخالفتها له، فالعمل الموافق للعلم هو المقبول، والمخالف له هو المردود، فالعلم هو الميزان وهو المحك، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض: هو أخلص العمل وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا وصوابًا، فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[٢].

---

(١) فتح الباري، المرجع السابق، ١/ ١٦٠.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بن القيم، دار الكتب العلمية، ١/ ٨٢.

فلا يجوز للإنسان أن يدعو إلى الله قبل أن يعلم ماذا يقول، فقد يحرم ما أحل الله أو يحلل ما حرم الله، أو يدعو إلى بدعة ظانًّا أنها سنة، والعكس.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [النحل: ١١٦].

قال بعض السلف: ليتق أحدكم أن يقول: أحل الله كذا وحرم كذا. فيقول الله له: كذبت؛ لم أحل كذا ولم أحرم كذا. فلا ينبغي أن يقول لما لا يعلم ورود الوحي المبين بتحليله وتحريمه: أحله الله وحرمه الله لمجرد التقليد أو بالتأويل[١].

فحذار – أيها المستقيم – أن تدعو قبل أن تتعلم العلم الشرعي من معينه الصافي.

أول ما تبدأ به تعلم القرآن:

اجعل أول خطوة لك في بداية طلبك للعلم أن تتعلم كتاب الله، جل وعلا، فهو شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين، فلا تتجاوزه إلى غيره، وقد دلت النصوص على فضل تعلم القرآن.

فعن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[٢].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عَنِ النبي ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه**

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، دار الجيل – بيروت، ١/ ٣٩.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، ٦/ ٢٣٦.

الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالًا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[١].

بل إن القرآن سبب لرفعة الإنسان في الدنيا والآخرة، فكم من وضيع في موازين الدنيا محتقرٍ بين الناس، أعلى الله شأنه ورفع ذكره ببركة حفظه للقرآن الكريم.

قال ﷺ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**»[٢].

بل إن حافظ القرآن مع السفرة الكرام البررة في جنات النعيم.

قال ﷺ: «**مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له، مع السفرة الكرام، ومثل الذي يقرأ القرآن، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد، فله أجران**»[٣].

ولا يكن همك من حفظه إقامة حروفه وترك حدوده، بل لابد أن تحفظه وتعقل معانيه وتتدبر آياته وتعمل بما فيه، حتى تكون من أهل الله وخاصته.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله أهلين من الناس**» قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**هم أهل القرآن، أهل الله وخاصَّتُهُ**»[٤].

قال بعض السلف: نزل القرآن ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملًا.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلمه، ٢/ ٢٠١.

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب حدثنا آدم، ٦/ ٢٠٦.

(٤) أخرجه أحمد وغيره، مسند أنس بن مالك، ٣/ ١٢٧، يقول الأرناؤوط: إسناده حسن.

ولهذا كان أهل القرآن هم العالمين به والعاملين بما فيه، وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم، قالوا: ولأن الإيمان أفضل الأعمال، وفهم القرآن وتدبره هو الذي يثمر الإيمان، وأما مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر فيفعلها البر والفاجر، والمؤمن والمنافق[١].

بل إن حفظ كتاب الله، جل وعلا، من أسباب الرفعة والارتقاء في منازل الجنان.

فعن عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها**»[٢].

قال الميموني: سألت أبا عبدالله، يعني الإمام أحمد بن حنبل: أيهما أحب إليك أبدأ ابني؛ بالقرآن أو بالحديث؟ قال: لا، بالقرآن. قلت: أعلمه كله؟ قال: إلا أن يعسر، فتعلمه منه[٣].

وقال الخطيب البغدادي: ينبغي للطالب أن يبدأ بحفظ كتاب الله، عز وجل، إذ كان أجل العلوم وأولاها بالسبق والتقديم[٤].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١/ ٣٣٨.

(٢) رواه الترمذي وصححه، كتاب فضائل القرآن، باب منه، ٥/ ١٧٧.

(٣) الآداب الشرعية، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، مؤسسة الرسالة، ٢/ ٣٣.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، ١/ ١٠٦

وقال الحافظ النووي رحمه الله: وأول ما يبتدئ به حفظ القرآن العزيز، فهو أهم العلوم، وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن، وإذا حفظه فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالًا يؤدى إلى نسيان شيء منه أو تعريضه للنسيان[١].

وقال شيخ الإسلام: وأما طلب حفظ القرآن فهو مقدم على كثير مما تسميه الناس علمًا، وهو إما باطل أو قليل النفع، وهو أيضًا مقدم في التعلم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع، فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنه أصل علوم الدين، بخلاف ما يفعله كثير من أهل البدع من الأعاجم وغيرهم، حيث يشتغل أحدهم بشيء من فضول العلم، من الكلام أو الجدال والخلاف، أو الفروع النادرة، والتقليد الذي لا يحتاج إليه، أو غرائب الحديث التي لا تثبت ولا ينتفع بها، وكثير من الرياضيات التي لا تقوم عليها حجة، ويترك حفظ القرآن الذي هو أهم من ذلك كله، فلا بد في مثل هذه المسألة من التفصيل، والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين[٢].

المنهجية في طلب العلم:

احرص أن يكون طلبك للعلم خالصًا لوجه الله، ثم لترفع به الجهل عن

---

(١) المجموع شرح المهذب، النووي، ١/ ٣٨.

(٢) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ٢/ ٢٣٥.

نفسك حتى يكون هذا العلم حجة لك لا عليك، والإخلاص مطلب سامٍ، فكم من عامل لم يخلص فلم يكن له من عمله نصيب إلا التعب والمشقة.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

يقول ابن سعدي رحمه الله: فالله إنما أمر بطاعته وامتثال أمره على وجه الإخلاص، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ فهذا العمل المقبول الذي يستحق صاحبه المدح والثواب(١).

وقال ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(٢).

واحذر أن يكون غايتك من طلب العلم أن تجاري به العلماء أو تماري به السفهاء، وقد حذر النبي ﷺ ممن يتعلم العلم حتى يقال له (عالم) أو لكي يحوز به المناصب والأموال.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال (جريء) فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.**

---

(١) تفسير ابن سعدي، المرجع السابق، ١/ ١٧٨.

(٢) متفق عليه.

ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال (عالم) وقرأت القرآن ليقال (هو قارئ) فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال (هو جواد) فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»[(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله، لا يعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عَرف الجنة يوم القيامة**»[(٢)] يعني: ريحها.

ثم احرص على أن تلزم غرز العلماء الربانيين، تتربى على أيديهم وتطلب العلم عليهم، فقد ذم السلف أخذ العلم من الكتاب دون القراءة على الشيخ، فاحرص أن تتلقى هذا العلم من أفواه أهل المعرفة والتحقيق حتى تسلم من التصحيف والخطأ، ولا يليق أن تعمد إلى الكتب والصحف فتأخذ منها وتروي عنها وتجعلهَا شيوخَك، فتكثر أخطاؤك وتصحيفاتك، ولهذا قال العلماء: لا تأخذ العلم من صُحفي ولا من مصحفي. يعني: لا تقرأ القرآن

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل رياء وسمعة يستحق النار ٦/ ٤٧.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وبن ماجه.

على من قرأ من المصحف، ولا الحديثَ وغيرَه على من أخذ ذلك من الصحف[١]. وقد قيل:

من لم يشافه عالمًا بأصوله فيقينه في المشكلات ظنون

وكان أبو حيان كثيرًا ما ينشد:

يظن الغمر أن الكتب تهدي أخًا فهم لإدراك العلوم
وما يدري الجهول بأن فيها غوامض حيرت عقل الفهيم
إذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى تصير أضل من (توما الحكيم)[٢]

ولا بد أن تنظر في حال من تأخذ عنه هذا العلم - أعني صلاحه وورعه وعلمه - فلا يؤخذ العلم من فاسق أو صاحب هوى أو متعالم أو متتبع للرخص.

يقول ابن جماعة رحمه الله: ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه، وليكن إن أمكن ممن كملت أهليته، وتحققت شفقته، وظهرت مروءته، وعرفت عفته، واشتهرت صيانته، وكان أحسن تعليمًا، وأجود تفهيمًا، ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق جميل.

فعن بعض السلف: هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

---

(١) حلية طالب العلم، بكر أبو زيد، دار العاصمة، ص ١٦.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح، المرجع السابق، ٢/ ١٢٥.

وليحذر من التقيد بالمشهورين وترك الأخذ عن الخاملين، فقد عدّ الغزالي وغيره ذلك من الكبر على العلم وجعله عين الحماقة، لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ويغتنمها حيث ظفر بها، ويتقلد المنّة لمن ساقها إليه، فإنه يهرب من مخافة الجهل كما يهرب من الأسد، والهارب من الأسد لا يأنف مِنْ دلالة مَنْ يدله على الخلاص كائنًا من كان[1].

ولابد أن تلتزم آداب الطلب في نفسك ومع شيخك وقدوتك، وفي دروسك وقراءتك ومع الكتب، إلى غير ذلك، ومحلها كتب الآداب.

واحذر من تضليل العلماء وطلبة العلم، والتجني عليهم بلسانك أو قلمك، لأنهم يخالفون أفكارك أو توجهاتك أو لا يشاركونك اهتماماتك، واعلم بأن لحومهم مسمومة.

ولابد لطالب العلم أن يبدأ في المداخل قبل الشروح، والمختصرات قبل المطولات.

وللنووي، رحمه الله، كلام نفيس في هذا، حيث قال: وبعد حفظ القرآن يحفظ من كل فن مختصرًا، ويبدأ بالأهم، ومن أهمها الفقه والنحو، ثم الحديث والأصول، ثم الباقي على ما تيسر، ثم يشتغل باستشراح محفوظاته، ويعتمد من الشيوخ في كل فن أكملهم في الصفات السابقة، فان أمكنه شرح دروس في كل يوم فعل، وإلا اقتصر على الممكن من درسين أو ثلاثة وغيرها، فإذا اعتمد شيخًا في فن وكان لا يتأذى بقراءة ذلك الفن على غيره فليقرأ أيضًا على

(١) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، محمد بن جماعة الكناني، ص ٣٩.

ثانٍ وثالث وأكثر، ما لم يتأذوا، فإن تأذى المعتمد اقتصر عليه وراعى قلبه، فهو أقرب إلى انتفاعه[١].

وقد قيل: من حفظ المتون حاز الفنون.

وأما ما يتعلق بما يبدأ به طالب العلم لتأصيل نفسه، فيقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: واعلم أن ذكر المختصرات والمطولات التي يؤسس عليه الطلب والتلقي لدى المشايخ تختلف غالبًا من قطر إلى قطر باختلاف المذاهب، وما نشأ عليه علماء ذلك القطر من إتقان هذا المختصر والتمرس فيه دون غيره، والحال هنا تختلف من طالب إلى آخر باختلاف القرائح والفهوم، وقوة الاستعداد وضعفه، وبرودة الذهن وتوقده، وقد كان الطلب في قطرنا بعد مرحلة الكتاتيب والأخذ بحفظ القرآن الكريم يمر بمراحل ثلاث لدى المشايخ في دروس المساجد: للمبتدئين، ثم المتوسطين، ثم المتمكنين:

ففي التوحيد: «ثلاثة الأصول وأدلتها» و«القواعد الأربع» ثم «كشف الشبهات» ثم «كتاب التوحيد» أربعتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، هذا في توحيد العبادة.

وفي توحيد الأسماء والصفات: «العقيدة الواسطية» ثم «الحموية» و«التدمرية» ثلاثتها لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فـ«الطحاوية» مع «شرحها».

وفي النحو: «الآجرومية»، ثم «ملحة الإعراب» للحريري، ثم «قطر الندى» لابن هشام، وألفية ابن مالك مع شرحها لابن عقيل.

---

(١) المجموع، المرجع السابق، ١/ ٣٨.

وفي الحديث: «الأربعين» للنووي، ثم «عمدة الأحكام» للمقدسي، ثم «بلوغ المرام» لابن حجر، و«المنتقى» للمجد ابن تيمية؛ رحمهم الله تعالى، فالدخول في قراءة الأمهات الست وغيرها.

وفي المصطلح: «نخبة الفكر» لابن حجر، ثم «ألفية العراقي» رحمه الله تعالى.

وفي الفقه مثلًا: «آداب المشي إلى الصلاة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم «زاد المستنقع» للحجاوي رحمه الله تعالى، أو «عمدة الفقه»، ثم «المقنع» للخلاف المذهبي، و«المغني» للخلاف العالي؛ ثلاثتها لابن قدامة رحمه الله تعالى.

وفي أصول الفقه: «الورقات» للجويني رحمه الله تعالى، ثم «روضة الناظر» لابن قدامة رحمه الله تعالى.

وفي الفرائض: «الرحبية» مع شروحها، و«الفوائد الجلية».

وفي التفسير: «تفسير ابن كثير» رحمه الله تعالى.

وفي أصول التفسير: «المقدمة» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وفي السيرة النبوية: «مختصرها» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأصلها لابن هشام، وفيه «زاد المعاد» لابن القيم رحمه الله تعالى.

وفي لسان العرب: العناية بأشعارها، وكـ«المعلقات السبع» والقراءة في «القاموس» للفيروز آبادي رحمه الله تعالى[1].

---

(١) حلية طالب العلم، المرجع السابق، ص ١٣-١٤.

العلم بالعمل:

ثم اعلم - أخي المستقيم، بارك الله فيك - أنه يجب عليك تطبيق ما تعلمته من علم، ثم الدعوة إليه، والصبر على الأذى، لأن من تعلم علمًا ولم يعمل به كان كالحمار يحمل أسفارًا.

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

يقول ابن سعدي رحمه الله: وفي هذه الآيات الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه، وفيه أن اتباع الهوى وإخلاد العبد إلى الشهوات يكون سببًا للخذلان[1].

وقد بوب الخطيب البغدادي، رحمه الله، في كتابه «اقتضاء العلم العمل»: باب في التغليظ على من ترك العمل بالعلم[2] ثم ساق مجموعة من الأحاديث والآثار.

يقول ابن تيمية رحمه الله: فمن ظن أن الهدى والإيمان يحصل بمجرد طريق العلم، مع عدم العمل به، أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم،

---

(١) تفسير ابن سعدي، المرجع السابق، ١/ ٣٠٨.

(٢) اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي، المكتب الإسلامي، ص ٤٦.

فقد ضل، وأضل منهما من سلك في العلم والمعرفة طريق أهل الفلسفة والكلام بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة، ولا العمل بموجب العلم، أو سلك في العمل والزهد طريق أهل الفلسفة والتصوف بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة، ولا اعتبار العمل بالعلم، فأعرض هؤلاء عن العلم والشرع، وأعرض أولئك عن العمل والشرع، فضل كل منهما من هذين الوجهين، وتباينوا تباينًا عظيمًا، حتى أشبه هؤلاء اليهود المغضوب عليهم، وأشبه هؤلاء النصارى الضالين[١].

ومن كلام بعض السلف: يهتف العلم بالعمل، فان أجابه حل وإلا ارتحل.

وقال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به.

فترك العمل بالعلم من أقوى الأسباب في ذهابه ونسيانه. وأيضًا فإن العلم يراد للعمل، فإنه بمنزلة الدليل للسائر، فإذا لم يسر خلف الدليل لم ينتفع بدلالته، فنزل منزلة من لم يعلم شيئًا، لأن من علم ولم يعمل بمنزلة الجاهل الذي لا يعلم، كما أن من ملك ذهبًا وفضة وجاع وعَرِيَ، ولم يشتر منهما ما يأكل ويلبس، فهو بمنزلة الفقير العادم[٢].

بل إن عدم العمل بالعلم كبيرة من الكبائر، كما نص على ذلك ابن حجر الهيتمي حيث قال: الكبيرة الخامسة والأربعون: عدم العمل بالعلم. أخرج مسلم وغيره أنه ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن**

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، دار الوفاء، ١٣/ ٢٤٧.

(٢) مفتاح دار السعادة، المرجع السابق، ١/ ١٠٠.

قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها» والشيخان: «**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: يا فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن الشر وآتيه**» والطبراني وأبو نعيم وقال غريب: «**الزبانية أسرع إلى فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان، فيقولون: يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟ فيقال لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم**» والطبراني والبيهقي: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه**» وصح عن ابن مسعود من قوله: «إني لأحسب الرجل ينسى العلم كما تعلمه للخطيئة يعملها».

ثم قال رحمه الله: عَدُّ هذا كبيرة هو ظاهر ما في هذه الأحاديث من الوعيد الشديد، فإن قلت: التغليظ إنما جاء من حيث إنه ترك الواجبات أو فعل المحرمات لا من مجرد عدم العمل بالعلم، ولو في المندوبات والمكروهات، وحينئذ فلو سلم تصريحهم بأن ذلك كبيرة لم يحسن عده كبيرة مغايرة لنحو ترك الصلاة المكتوبة وغيرها مما يأتي.

قلت: يمكن أن يوجه عده وإن لم أر من صرح به بأن المعصية مع العلم أفحش منها مع الجهل كما دلت عليه أيضًا تلك الأحاديث، ونظير ذلك ما يأتي في المعصية بحرم مكة ونحوه من أن شرفه اقتضى فحش المعصية فيه، وإن كانت صغيرة، فكذلك العالم إذا أفحش في فعل الصغائر فلا يبعد أن يكون

ذلك منه كبيرة بواسطة ما أوتيه من تلك المعارف المقتضية لانزجاره عن المكروهات فضلًا عن المحرمات[١].

فاللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع.

النقطة الثالثة: تأهيل الشاب المستقيم تربويًّا.

يحتاج الشاب المستقيم إلى التأهيل التربوي، ويهدف هذا التأهيل إلى غرس مجموعة من القيم والآداب التربوية في نفسه لتهذيبها وتقويم سلوكه، وهي القيم التي لابد أن تتوفر فيه حال استقامته وتستمر معه طوال حياته، ونستقي هذه القيم من أعظم قدوة على مر البشرية هو محمد ﷺ فالمتأمل لأقواله وأفعاله - بأبي هو وأمي ﷺ - يعلم حق اليقين معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وكان لي أخ يقال له (أبو عمير) فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: «**أبا عمير ما فعل النغير؟**» قال: فكان يلعب به[٢].

ولا عجب في ذلك، فقد كان خلقه القرآن كما أخبرت بذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[٣].

---

(١) انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر بتصرف، أحمد بن حجر الهيتمي، ١/ ٢٣٨-٢٤١.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه، ٢/ ١٦٨.

وكذلك نستقي هذه القيم الحميدة من حياة الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام وكذلك نستقي هذه القيم من أخلاق الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم، المتمثلة في مواقفهم الحميدة وتضحياتهم المجيدة وطيب شمائلهم وبذلهم لهذا الدين، وأخيرًا نستقي هذه القيم من سير السلف الصالح رحمهم الله جميعًا.

فإليك - أخي المستقيم - بعض القواعد المهمة للتأهيل التربوي لا بد من مراعاتها عند بداية استقامتك:

الهمة العالية:

لا ترض - أخي المستقيم - بالمراتب الدنيئة، بل احرص أن تكون لديك همة عالية في كل شأنك، في دينك وفي علمك وفي عملك وفي أخلاقك، ولا تكتف بالنجاح فقط، بل احرص على التميز في هذا النجاح، والتميز لن تناله ما لم يكن لديك طموح سامٍ وهمة عالية لتحقيق هذا الطموح، وقد ربى النبي ﷺ صحابته على هذه القيمة، حيث أمرهم عند سؤال الله الجنة ألا يكتفوا بطلب دخولها فقط، بل أمرهم سؤاله أن يزفهم إلى أفضل وأجمل مكان في الجنة، إنه الفردوس الأعلى.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها**» قالوا: يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال: «**إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما**

بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»[١].

ومن محاسن ديننا الحنيف أن من كان لديه طموح عالٍ وهم بفعل طاعة، ولكن حال حائل دون تحقيق طموحه، فإنه يكتب له أجر ما نوى.

قال ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدقٍ، بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»[٢].

وقال ﷺ: «**من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرًا إلى سبعمائة ضعف**»[٣].

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام

ويؤلمني كثيرًا أن البعض عندما يستقيم لا تكون لديه همة عالية في التقرب إلى الله تعالى، فتجده قليل العبادة قانعًا بما قدم، وإن كان زهيدًا يسيرًا، وإن فعل عبادة ما فإنه لا يستمر عليها ويتركها لأدنى سبب، وإذا نظرت إلى صلاته وجدته مقل النوافل، وكذلك الصيام، أو ليس له ورد يومي من قراءة القرآن، أو ليس له نشاط دعوي ولو بتوزيع مطويات أو كتيبات... إلخ، لذلك لا بد أن يكون المستقيم ذا همة عالية، يحرص أن يكون له من كل طاعة نصيب، وبصمة ظاهرة في حياته تسمو به أعلى الآفاق لا حدود لها أو قيود.

---

(١) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، ٤/ ١٩.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، ٦/ ٨٢.

(٣) متفق عليه.

والبعض يعتقد أن النجاح في أمور الدنيا يتعارض مع الدين، وهذا مفهوم خاطئ، بل إن الدين يحث على العمل وطلب الرزق، ويحث على إتقانه والإبداع فيه.

قال ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه**»(١).

والذي نهت عنه الشريعة الإسلامية أن يعمل الإنسان لدنياه ويترك آخرته.

قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧].

ولا يلتفت المستقيم أو يستمع لكل مثبط يأتيه في طريقه، بل عليه أن يتوكل على الله تبارك وتعالى في كل قول وعمل، ثم يبادر في عمله، والتوفيقُ حليفه بإذن الله.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وليعلم بأنه إذا أصغى لكلمات المثبطين فإنهم سيقودونه إلى الهاوية، وسيندم على ذلك ندمًا عظيمًا.

وإليك هذه الصورة المشرقة من صور الهمم العالية وكيفية التعامل مع المثبطين، وهي ورقة من شجرة عظيمة بطلها أحد أصحاب رسول الله ﷺ، إنه حبر هذه الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنه وأرضاه حيث يقول:

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٣٢، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير ٧/ ٢٠٨.

لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير. فقال: وا عجبًا لك يابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم! قال: فتركت ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ وإن كان يبلغني الحديث عن الرجل، فآتي بابه، وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، يسفي الريح عليَّ من التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ هلا أرسلت إليَّ فآتيك! فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك. قال: فأسأله عن الحديث. فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني، وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني[1].

واحذر أيها المبارك من:

١- الذي يغشك فيرشدك إلى ما يصلح له هو ولا يصلح لك أنت، حتى لو كان لا يوافق قدراتك أو اهتماماتك، مما يؤثر فيك سلبًا.

٢- من يشغلك عن تأهيل نفسك والتقرب من ربك في أعمال وبرامج لا تفيدك أو لا تقربك من ربك، أو من يلزمك ببرامج سخيفة كنت تربأ بنفسك عنها قبل استقامتك.

٣- لا تعتقد أن العمل والنجاح حكر على طائفة من الناس، وغيرهم من الأمة عالة فاشلون، ولا سبيل للنجاح إلا بالتعلق بهم، والعمل تحت إشرافهم.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، ١/ ١٨٨.

ومن ذلك أن تعتقد أن طائفة معينة هي الفرقة الناجية دون غيرها من أهل السنة والجماعة، وغير ذلك من الاعتقادات الناشئة عن تبدل المفاهيم.

٤- لا تستمع لمن يحاول إقناعك بحاجتك المصيرية إليه، بحيث إن تركته فإن مصيرك إلى الفشل في الدنيا والآخرة، وأنه لا سبيل للنجاح إلا باتباعه.

٥- احذر ممن يصر أن يكون هواك تبعا له، فإن ملت عنه لم يأل جهدًا في تحقيرك أو طردك، دون مراعاة لحالك، ولو أدى ذلك إلى كسر همتك أو انتكاستك.

٦- العقل نعمة مَنَّ الله بها عليك لتتفكر ولتتأمل، فلا تسلم عقلك لغيرك ليكون حفيظًا أو وكيلًا عليه، فهو منحة لك دون سواك، فإياك أن تكون كالغنم مع الراعي.

القدوة الحسنة:

ونتطرق لهذه النقطة من ناحيتين:

الأولى: يجب أن يتخذ المستقيم له قدوة حسنة يقتدي به في أقواله وسلوكه وفي كل شؤونه، ولَمَّا كانت القدوة حاجة مُلحة تحتاجها النفس البشرية فإن الله سبحانه وتعالى مِن مَنِّه وكرَمه جعَل لهذه الأمة خير قدوة عرَفتها البشرية على مدار التاريخ، جعَل لها رسوله الأمين وسيد الخلق أجمعين، فقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١] فقد جمعت حياة النبي ﷺ بين الأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والعواطف النبيلة المعتدلة، والعادات الحسنة، فكل إنسان مهما

كانت حاله، ومهما كان عمله، يجد له من حياة رسول الله ﷺ قدوة كاملة وأُسوة حسنة.

وقد جعل الله عز وجل لعباده أسوة عمليةً حسنةً أيضًا في الرسل، عليهم السلام، والصالحين من عباده، وقصَّ على المؤمنين قصصهم وعرض سيرتهم ثم أمر باتباعهم والاقتداء بهم، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

ومن ناحية أخرى فإنه يجب أن يكون الشاب المستقيم قدوة حسنة لغيره، وألا ينفِّر الناس عن الدين بسبب تصرفاته، ومن مقتضيات ذلك أن يوافق قوله عمله.

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢].

وقد قيل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

ومنها التحلي بالأخلاق الحميدة وبخاصة أمات الأخلاق، كالحلم والصدق والشجاعة والوفاء والحكمة والعدل، وغيرها مما سيأتي.

التواضع:

من الصفات المهمة التي لا بد أن يتحلى بها المستقيم خلق التواضع، ذلك لأن بعض حديثي الاستقامة يظن بمجرد استقامته أنه قد وضع رحاله في

الجنة، وأن غيره من أهل الجحيم، وهذه نظرة خطيرة قد تؤدي به إلى الغرور بعمله والتألي على الله أن لا يرحم ويغفر لغيره.

فعن جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ حدث: «**أن رجلًا قال: والله لا يغفر الله لفلان! وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان! فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك**»(١).

ومن نتائج هذه المشكلة أن تتكون قناعة شيطانية لدى صاحبها تقتضي النظر إلى نفسه بنظرة مثالية ومتعالية، من مظاهرها اعتقاده أن كل الناس يخطئون إلا هو، ومن مظاهرها أيضًا أنه إذا سمع آيات قرآنية أو أحاديث نبوية فيها وعيد وتهديد لم يرع لها سمعه وظن أنه ليس المخاطب بها، وإذا سمع آيات قرآنية أو أحاديث نبوية فيها وعد ونعيم اعتقد أنه هو المخاطب بها وحده، ومن مظاهرها اعتقاد المنتسب لبعض الجماعات أنه مميزٌ على غيره من المسلمين ممن لم يلتحق بهذه الجماعة، وهذا بدعة كما بين غير واحد من أهل العلم(٢).

فأين هو من حديث أم المؤمنين عائشة ﷺ حين قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت عائشة ﷺ: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال:

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله، ٨/ ٣٦.

(٢) محاضرة لفضيلة الأستاذ الدكتور ناصر العقل أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

«**لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات**»[(١)].

وهذا أيضًا يقوده إلى التعالي وصدور بعض السلوكيات المحرمة منه تجاه الغير وتعطيل الأحكام الشرعية، كالغيبة، وعدم رد السلام، أو عدم الصلاة مع الجماعة بحجة أنهم من أهل الفسق والضلال.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**حق المسلم على المسلم ست**» قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «**إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**»[(٢)].

بل يقوده ذلك إلى احتقار بعض الناس وازدرائهم، والعياذ بالله، والنبي ﷺ يقول: «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**»[(٣)] وهذا من مداخل الشيطان على بعض المستقيمين والله المستعان.

وقد أوصى النبي ﷺ بالتواضع للخلق، وهذا دأب الصالحين في كل زمان ومكان.

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[(٤)].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة المؤمنون، ٥/ ٣٢٧. وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، ٧/ ٣.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ١/ ٦٥.

(٤) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، ٨/ ٢١.

وعن عمر ﷺ مرفوعًا قال: «**يقول الله تبارك وتعالى: من تواضع لي هكذا رفعته هكذا**» وجعل يزيد باطن كفه إلى الأرض وأدناها إلى الأرض، رفعته هكذا وجعل باطن كفه إلى السماء ورفعها نحو السماء[١].

ومن لوازم التواضع أن يعتذر المستقيم عن أخطائه، فلا يسوغها أو يتكبر عن الإقرار بها، بل إن ذلك من أخلاق الكبار، ومما يزيده رفعة في الدنيا والآخرة.

حسن الخلق:

طوبى لمن ألبسه الله ثوب حسن الخلق، فإنه ما من رجلٍ أُثر عنه ذلك إلا طاب ذكره عند الناس ورُفع قدره بينهم، ولا بد أن يكون المستقيم ذا خلق حسن، كيف لا وقد جعل منهجه الذي لا يتبدل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهو داعية إلى الله بسلوكه قبل قوله، لذلك عندما يكون المستقيم سيئ الخلق فإنه يكون سببا في نسبة سوء الخلق إلى شريحة المستقيمين بعامة، بل إلى الاستقامة أحيانًا.

وحسن الخلق يتمثل في بسط الوجه، واحتمال الأذى، وكظم الغيظ، إلى غير ذلك من المعاني والخصال الحميدة، وهي من وصايا النبي ﷺ لهذه الأمة.

فعن أبي ذر ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد، مسند عمر بن الخطاب، ١/ ٤٤، يقول شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه الترمذي، وحسنه، كتاب البر والصلة، باب معاشرة الناس، ٤/ ٣٥٥، وحسنه الألباني.

قال ابن منصور: سألت أبا عبدالله عن حسن الخلق قال: ألا تغضب ولا تحتد. قيل له: المعاملة بين الناس في الشراء والبيع! فلم ير ذلك.

قال إسحاق بن راهويه: هو بسط الوجه وألا تغضب، ونحو ذلك. ذكره الخلال.

وروى البيهقي في مناقب الإمام أحمد عن إسحاق بن منصور أنه سأل أحمد ابن حنبل عن حسن الخلق فقال: هو أن يحتمل من الناس ما يكون إليه.

وروى الخلال عن سلام بن أبي مطيع في تفسير حسن الخلق، فأنشد هذا البيت:

كأنك معطيه الذي أنت سائله[1]

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

قيل لابن عقيل في فنونه: أَسمع وصية الله عز وجل يقول: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ وأسمع الناس يعدون من يظهر خلاف ما يبطن منافقًا، فكيف لي بطاعة الله تعالى والتخلص من النفاق؟

فقال ابن عقيل: النفاق هو إظهار الجميل وإبطال القبيح، وإضمار الشر مع إظهار الخير لإيقاع الشر، والذي تضمنته الآية إظهار الحسن في مقابلة القبيح لاستدعاء الحسن، فخرج من هذه الجملة أن النفاق إبطال الشر وإظهار الخير لإيقاع الشر المضمر، ومن أظهر الجميل والحسن في مقابلة القبيح ليزول الشر

---

(١) الآداب الشرعية، المرجع السابق، ٢/ ١٩١ بتصرف.

فليس بمنافق، لكنه يستصلح، ألا تسمع إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ فهذا اكتساب استمالة، ودفع عداوة، وإطفاء لنيران الحقائد، واستنماء للود وإصلاح للعقائد، فهذا طب المودات واكتساب الرجال[١].

وقد عد النبي ﷺ صاحب الخلق الحسن من خير الناس.

قال رسول الله ﷺ «**إن من أخيركم أحسنكم خلقًا**»[٢].

ووعد صاحب الخلق الحسن ببيت في أعلى الجنة.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**»[٣].

بل إن حسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة.

فقد سئل النبي ﷺ: ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»[٤].

وهو من أسباب محبة النبي ﷺ والقرب منه يوم القيامة.

---

(١) الآداب الشرعية، المرجع السابق، ١/ ٨٠.

(٢) رواه البخاري، كتاب الآداب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، ٨/ ١٥.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الآداب، باب حسن الخلق، ٤/ ٤٠٠.

(٤) رواه الترمذي كتاب البر والصلة، باب حسن الخلق، ٤/ ٣٦٣ وقال: حديث صحيح غريب. وحسنه الألباني.

قال ﷺ: «**ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة؟**» فسكت القوم، فأعادها مرتين أو ثلاثًا، قال القوم: نعم يا رسول الله. قال: «**أحسنكم خلقًا**»[(١)].

وقد خص اللهّ جل وعلا نبيه محمدًا ﷺ بآية جمعت له محامد الأخلاق ومحاسن الآداب، فقال جل وعلا: ﴿ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا، وكان لي أخ يقال له (أبو عمير) فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: «**أبا عمير ما فعل النغير؟**» قال: فكان يلعب به[(٢)].

وعنه أيضًا قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله ما قال لي: أف. قط، ولا قال لي لشيء: لم فعلت كذا! وهلا فعلت كذا![(٣)]

وعنه أيضًا: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب. وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: «**يا أنيس أذهبت حيث أمرتك؟**» قال: قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله[(٤)].

---

(١) رواه الإمام أحمد، مسند عبدالله بن عمرو، ٢/ ١٨٥، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٢) سبق تخريجه ص ٥٧.

(٣) رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله أحسن الناس خلقا، ٧/ ٧٣.

(٤) رواه مسلم كتاب الفضائل، باب كان رسول الله أحسن الناس خلقا، ٧/ ٧٤.

فينبغي أن يتحلى المستقيم بحسن الخلق في جميع أحواله، حيث يراه الناس وحيث لا يرونه، أو في حال عمل المعروف وقوبل بالجحود والنكران، ولا يغضب لذلك أو يندم على فعله؛ لأنه فعل المعروف لله وليس لأجل الخلق.

الصبر والثبات على الاستقامة:

قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

يجب أن يكون الشاب المستقيم صابرًا مثابرًا، لا سيما عند بداية استقامته، لأنه سيواجهه في هذا الطريق - أعني طريق الاستقامة - عقبات تتلوها العقبات من شياطين الإنس والجن، فإن لم يكن حليمًا صبورًا فقد يكون عرضة للانهيار.

وصبر المستقيم يكون على طاعة الله؛ لأن الطاعة فيها مشقة أحيانًا، فعندما يقوم المستقيم من نومه لصلاة الفجر، وأهل بيته كلهم نيام، قد بال الشيطان في آذانهم، يقوم في البرد الشديد ليتوضأ، أو يغتسل بالماء البارد، ويسبغ هذا الوضوء، ثم يخرج إلى المسجد، وقد لا يتوفر لديه ما يرتديه ليخفف عنه ألم البرد، وصبره واحتسابه في إخراج بعض ماله الذي شقي لكي يجمعه وينميه، مع محبته له، في وجوه الخير وللمحتاجين كالفقراء والمساكين، لأن الإنسان بطبيعته يحب المال، كما أخبر الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨] وصبره على صيام الهواجر في الحر الشديد، وما يصاحبه من عطش وجوع، وصبره على طلب العلم والسفر لأجله - والسفر قطعة من العذاب - إلى غير ذلك، لهو من الأسباب العظيمة لتوفيقه وثباته على استقامته.

يجب على المستقيم أن يصبر عن معاصي الله، لأن المعصية لها لذة، وتشتاق لها النفس، لا سيما إذا تاب من معصية كان مصرًّا عليها ويألفها، فالنفس والهوى والشيطان اتحدوا عليه ليوقعوه في براثن المعصية، لكن عندما يصبر ويصابر لتركها، ويمني نفسه بما أعده الله للصابرين من نعم عظيمة، فتهدأ النفس وتطمئن لأنها تعلم أن ما عند الله خير وأبقى.

وينبغي أيضًا للمستقيم أن يصبر على ما يأتيه من أذى بسبب استقامته، فقد يُسخَر منه أو يُؤذَى من الأقربين قبل غيرهم، وسخريتهم قد تكون بلباسه أو لحيته أو عفافه، فليصبر، وقد بين الله أهمية الصبر وحث عليه في أكثر من موطن.

قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

فصيغة الافتعال من الصبر (اصطبر) مكان الصيغة المعتادة (اصبر) لأن الافتعال يدل على المبالغة في الفعل[1].

وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

---

(١) الصبر في القرآن، د. يوسف القرضاوي، ص ٣٩.

وبين أن الصبر من صفات المؤمنين الذين هم عليه متوكلون ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النحل: ٤٢].

وعندما يواجه المستقيم أذى أو سخرية بسبب استقامته فليذكر صبر النبي ﷺ على ما واجه من سخرية وإيذاء بسبب دعوته.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلى عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سَلَا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد! فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه. قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله والنبي ﷺ ساجد، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت، وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا، ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، ثم قال: «**اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد ابن عقبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط**» وذكر السابع ولم أحفظه، فو الذي بعث محمدًا ﷺ بالحق، لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر[1].

(١) متفق عليه.

وعن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه قال: انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، وعمد إلى نفر من ثقيف، وهم سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة؛ عبد ياليل ومسعود وحبيب، بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جمح، فجلس إليهم، فدعاهم إلى الله، وكلمهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة: إن كان الله أرسلك! وقال الآخر: أما وجد الله أحدًا أرسله غيرك! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا؛ لئن كنت رسولًا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك! فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم فيما ذكر لي: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ. وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه، فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل حبلة من عنب فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يَلقى من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله ﷺ فيما ذكر لي المرأة التي من بني جمح، فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك! فلما اطمأن قال فيما ذكر: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك**

غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة ألا بك» قال: فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما، فدعَوَا غلامًا لهما نصرانيًّا يقال له (عداس) وقالا له: خذ قطفًا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عداس، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدى رسول الله ﷺ ثم قال له: كل. فلما وضع رسول الله ﷺ يده فيه قال: «**بسم الله**» ثم أكل، ثم نظر عداس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد! فقال له رسول الله ﷺ: «**ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟**» قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نَيْنَوَى. فقال رسول الله ﷺ: «**من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟**» فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ذلك أخي، كان نبيًّا وأنا نبي**» فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه[1].

ثم أوصيك - أيها المستقيم - بالثبات على استقامتك حتى الممات، أعني الثبات على الدين والعض عليه بالنواجذ، وإن أصابك بسبب ذلك التكذيب والإيذاء والتعذيب، بل والقتل من جانب أهل الكفر والبدع والأهواء، وقد سطر لنا التاريخ كيف ثبت أهل الحق على دينهم، ولم يثنهم التهديد بالتعذيب أو القتل عن الصمود والموت في سبيل الله والطمع فيما عند الله.

---

(١) السيرة النبوية، ابن كثير، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢/ ١٥٠.

فأصحاب الأخدود ثبتوا على الدين حتى خُدَّت لهم الأخاديد وأضرمت فيها النيران، فلم يصدهم ذلك عن دينهم وعقيدتهم.

وسحرة فرعون لما سجدوا لرب هارون وموسى لم يصدهم عذاب الطاغية فرعون وتنكيله أن يتركوا الدين الحق، بل ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه: ٧٢-٧٣].

والصحابة، رضوان الله عليهم، عذبوا في بداية الإسلام تعذيبًا شديدًا، حتى مر عليهم النبي ﷺ حزينًا يصبرهم ويرغبهم فيما عند الله ويأمرهم بالثبات.

فقد جاء الصحابة يشتكون إلى النبي ﷺ الأذى والعذاب وقالوا له: ألا تستنصر لنا! ألا تدعو الله لنا! قال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[(١)].

وخذ هذه الأمثلة من صور الثبات على الدين:

أ- عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ليلة أسري به مر بريح طيبة فقال: «**يا جبريل ما هذه الريح؟**» قال: هذه ريح ماشطة بنت فرعون وأولادها، بينما

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٤/ ٢٤٤.

هي تمشط بنت فرعون إذ سقط المِدْرَى من يدها، فقالت: بسم الله. فقالت بنت فرعون: أبي؟ قالت: بل ربي وربك الله. قالت: وإن لك ربًّا غير أبي؟ قالت: نعم، الله. قالت: فأخبر بذلك أبي؟ قالت: نعم. فأخبرته، فأرسل إليها، فقال: ألك رب غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك الله. فأمر بنقرة من نحاس فأحميت، فقالت له: إن لي إليك حاجة. قال: نعم. قال: فجعل يلقي ولدها واحدًا واحدًا حتى انتهَوا إلى ولد لها رضيع فقال: يا أمتاه اثبتي فإنك على الحق[١].

فانظر إلى هذا الثبات حتى الممات، وهي امرأة وأم، ومع ذلك لم يزعزعها هذا عن الثبات على الدين.

ب- قال ابن إسحاق: وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه، وكانوا أهل بيت إسلام، إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول فيما بلغني: «**اصبروا آل ياسر، موعدكم الجنة**».

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بعمار وأهله وهم يعذبون فقال: «**أبشروا آل عمار وآل ياسر، فإن موعدكم الجنة**»[٢].

ت- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عينًا، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري، جد عاصم بن عمر، فانطلقوا،

---

(١) رواه ابن حبان، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر وثواب الأمراض والأعراض، ٧/ ١٦٤. قال الأرناؤوط: إسناده قوي.

(٢) السيرة النبوية، المرجع السابق، ١/ ٤٩٥.

حتى إذا كانوا بالهدأة، وهو بين عسفان ومكة، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم (بنو لحيان) فنفروا لهم قريبًا من مئتَي رجل كلهم رام، فاقتصوا آثارهم، حتى وجدوا مأكلهم تمرًا تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فاقتصوا آثارهم. فلما رآهم عاصم وأصحابه لجؤوا إلى فدفد، وأحاط بهم القوم، فقالوا لهم: انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق، ولا نقتل منكم أحدًا. قال عاصم بن ثابت أمير السرية: أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك. فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصمًا في سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق، منهم خبيب الأنصاري وابن دثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن في هؤلاء لأسوة. يريد القتلى، فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم، فأبى، فقتلوه، فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع خبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيرًا، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها، فأعارته، فأخذ ابنًا لي وأنا غافلة حين أتاه، قالت: فوجدته مجلسه على فخذه، والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي، فقال: تخشين أن أقتله! ما كنت لأفعل ذلك. والله ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خبيب، والله لقد وجدته يومًا يأكل من قطف عنب في يده، وإنه لموثق في الحديد، وما بمكة من ثمر، وكانت تقول إنه لرزق من الله رزقه

خبيبًا. فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب: ذروني أركع ركعتين. فتركوه، فركع ركعتين، ثم قال: لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها، اللهم أحصهم عددًا

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو سنَّ الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرًا[(١)].

فهذا قليل من كثير من صور الثبات على الدين.

المبادرة والتضحية:

لابد أن تكون أخي المستقيم مبادرًا في كل خير وطاعة، وقد حث النبي ﷺ على المبادرة بالأعمال قبل أن تظهر الفتن.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[(٢)].

ونقصد بالمبادرة هنا المسارعة إلى كل خير وبر، فلا بد للمستقيم أن يكون مبادرًا في كل شأنه، مبادرًا بالصلاة في أول وقتها.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرجل.. ٤/ ٨٣.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل الفتن، ١/ ٧٦.

فعن أم فروة ﵂ قالت: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «**الصلاة في أول وقتها**»(١).

وأن يكون مبادرًا بالصدقات على الفقراء والمساكين.

قال ﷺ: «**اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله**»(٢).

وأن يكون مبادرًا بالحج والعمرة إن كان مستطيعًا، ولا يؤخر ذلك دون عذر.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فالبعض يدركه الموت وهو لم يحج، أو يبلغ من الكبر عتيًّا ولا زال يؤجل حتى يوافيه الأجل.

احرص أيضا أن تكون مبادرًا بالسلام على من تعرف ومن لا تعرف.

فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(٣).

وأن تكون مبادرًا في كل ما له علاقة بالاحتساب، ولا تنتظر أن توجه إليك الدعوات.

وأن تكون مبادرًا بالعفو عمن ظلمك، ولو جعل الله حاجته بين يديك وقدرت عليه.

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في المحافظة على أوقات الصلاة، ١/ ١٦٣.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ١/ ٥٣.

عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال؛ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»(١).

إلى غير ذلك من مظاهر المبادرة.

لابد أيضًا أن تكون مضحيًا في سبيل أعز ما تملك، ألا وهو دينك، فلا بد أن تضحي بنفسك ومالك ووقتك لخدمة دين الله، جل وعلا، فالبعض يعتذر كثيرا في مجال الأعمال الدعوية والخيرية بحجة ضيق الوقت، لكن في وقته متسع إذا كان الأمر متعلقًا بالترفيه أو بتنمية الأموال، ولا ينصر دينه، بل قد يخذله أحيانًا، والله المستعان.

أيضًا لابد أن تضحي - أخي المستقيم - بكل شهوة تتوق لها نفسك وتشتهيها لإرضاء الله تبارك وتعالى، واغتنم صحتك وعافيتك قبل أن يسلبهما الله منك وتتمنى أن تعودا إليك، لكن لا سبيل إلى ذلك.

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»(٢).

والفراغ من النعم العظيمة التي منحها لك ربك، فاستغلها في طاعة الله.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الآداب، باب الهجرة، ٨/ ٢٥.

(٢) أخرجه الحاكم وغيره كتاب الرقاق، ٤/ ٣٤١، وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

تنمية المواهب والقدرات:

احرص - أخي المستقيم - على فهم نفسك أولًا، لأنك إن فهمت نفسك فستعرف ما تجيده وما لا تجيده.

لذلك احرص على تنمية ما تجيده وتميل إليه، فإن كان لديك موهبة الإلقاء مثلًا حاول أن تطور هذه الموهبة ولا تغفلها أو تحتقر نفسك، بل نمها حتى تصبح خطيبًا مفوهًا.

وإن كنت ذا صوت شجي جميل فطوِّر قدراتك حتى تكون إمامًا ندي الصوت تتغنى بالقرآن.

فاحرص - أيها المبارك - على تطوير قدراتك وتنميتها، ولا تستسلم من أول تجربة أو تحتقر نفسك، فالسيل أوله قطرة ماء، والجبل عبارة عن مجموعة من الحصيات الصغيرة، وأنت ستكون ذا شأن وستصل لطموحك إن نميت قدراتك ومواهبك وانطلقت.

تعلم، فكل إنسان ولد وهو لا يملك أي معلومة، والعالم كان جاهلًا قبل أن يتعلم، لا تقل: لا أعلم أو لا أعرف أو لا أستطيع. بل قل: سأتعلم وسأعرف وسأستطيع، بعد التوكل على الله.

اجعل لك - أيها المبارك - بصمة في هذه الحياة وخلد اسمك في التاريخ، فانظر كم خلد التاريخ لنا رموزًا من السلف كانت لهم بصمات في عصرهم، امتد أثرها إلى العصور اللاحقة، حتى وصلت إلينا، وتأمل كم نسبتهم من مجتمعاتهم التي كانوا يعيشون فيها آنذاك! لاشك أنهم شيء يسير من كثير، بل

ربما لا يبلغون معشار مجتمعاتهم، ذلك لأنهم نموا مواهبهم وقدراتهم وسخروها لله وحده، والنبي ﷺ أشار إلى هذا المعنى.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١).

فالصدقة الجارية، والعلم الذي ينتفع الناس به، والولد الذي رُبي تربيةً صالحة هي من بصمات هذا الموفق في حياته.

التعامل مع الغريزة الجنسية:

الغريزة الجنسية هم يصاحب المستقيم في ليله ونهاره، وبخاصة عند العَزَب، وهذه الشهوة إذا لم تضبط بضوابط الشريعة فإنها قد تقود هذا المستقيم إلى الانتكاسة، بل أحيانًا إلى الكفر والعياذ بالله.

قال ابن الجوزي رحمه الله: بلغني عن رجل كان ببغداد يقال له (صالح المؤذن) أذن أربعين سنة، وكان يعرف بالصلاح، أنه صعد يومًا إلى المنارة ليؤذن، فرأى بنت رجل نصراني، كان بيته إلى جانب المسجد، فافتتن بها، فجاء فطرق الباب فقالت: من؟ فقال: أنا صالح المؤذن. ففتحت له، فلما دخل ضمها إليه، فقالت: أنتم أصحاب الأمانات! فما هذه الخيانة! فقال: إن وافقتني على ما أريد وإلا قتلتك. فقالت: لا، إلا أن تترك دينك. فقال: أنا بريء من الإسلام ومما جاء به محمد. ثم دنا إليها، فقالت: إنما قلت هذه

(١) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من ثواب بعد وفاته، ٥/ ٧٣.

لتقضي غرضك ثم تعود إلى دينك، فكل من لحم الخنزير. فأَكل، قالت: فاشرب الخمر. فشرب، فلما دب الشراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتًا وأغلقت الباب وقالت: اصعد إلى السطح، حتى إذا جاء أبي زوجني منك. فصعد فسقط فمات، فخرجت، فلفَّته في مسح، فجاء أبوها، فقصت عليه القصة، فأخرجه في الليل فرماه في السكة، فظهر حديثه، فرمي في مزبلة[1].

ولذلك لا بد للمستقيم أن يكبت هذه الشهوة ويتجنب كل ما يهيجها، ويتعامل معها وفق ما جاء في الشرع الحنيف.

احرص - أخي المستقيم - أن تغض بصرك عن النظر المحرم؛ لأنه يمنع من وصول أثر السهم المسموم الذي قد يكون فيه هلاك قلبك.

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

ولأنه يسد على الشيطان مدخله من القلب، فإنه يدخل مع النظرة وينفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي، فيمثل له صورة المنظور إليه ويزينها، ويجعلها صنمًا يعكف عليه القلب، ثم يعده ويمنيه ويوقد على القلب نار الشهوة، ويلقي عليه حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة، فيصير القلب في اللهب، وإن بين العين والقلب منفذًا أو طريقًا يوجب اشتغال أحدهما بما يشغل به الآخر، يصلح بصلاحه ويفسد بفساده، فإذا فسد القلب فسد النظر، وإذا فسد النظر فسد القلب، وكذلك في جانب الصلاح فإذا خربت العين وفسدت، خرب القلب وفسد، وصار كالمزبلة التي هي محل

(١) ذم الهوى، ابن الجوزي، ص ٤٦١.

النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والإنابة إليه، والأنس به، والسرور بقربه، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك[١].

واعلم أن غض البصر له، والله، لذة عظيمة، لا يعرف لذتها إلا العفيف.

ثم اعمد إلى إشغال نفسك بالطاعات والقربات، لأن النفس إذا لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية، ولا بأس بالترويح عن النفس فيما أباح الله جل وعلا ما لم يكن ذريعة إلى فعل محرم أو ترك واجب، أو يكون دأبك الدائم هو الاشتغال بالمباحات والإكثار منها.

ثم اعمد - أيها المبارك - إلى أعظم وسائل العفاف، وهو الزواج الشرعي، فقد أوصى النبي ﷺ بالزواج لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة، ومن لم يكن كذلك فإنه يصوم ليدفع شهوته.

قال ﷺ: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء**»[٢].

لمن تقرأ وكيف تقرأ:

ديننا يدعو إلى القراءة، ونحن كما يقال (أمة اقرأ) فأول ما نزل على رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥].

والقراءة من أسباب رقي الأمم، فأمة لا تقرأ لن ترتقِ، وأمة لا تقرأ لا

---

(١) انظر الجواب الكافي لابن قيم الجوزية.

(٢) متفق عليه.

تعرف ما لها وما عليها، وأمة لا تقرأ ليس لها قيمة في الوجود، ونحن نشكو إلى الله حال أمتنا التي لا تقرأ، وإن قرأ بعضها فإنهم يقرؤون ما لا ينفع علمه ولا يضر جهله، بل قد يقرؤون ما يضر ويهجرون ما ينفع، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠] وهجر القرآن يكون بهجر قراءته وتدبره والعمل به.

وابتلي شباب المسلمين اليوم عامة ببعض الكتب الدخيلة التي تدعو إلى هدم القيم والأخلاق، وإلى قبيح الطباع والتشكيك في العقائد، بل إن بعضها يشكك في الإسلام ويوغل الشبه في نفس القارئ، ولذلك وجد بين شباب المسلمين من بهرته هذه الكتابات السخيفة والأقلام المنحطة، وأعجبوا بها فارتدوا على أدبارهم، ذلك لأن هؤلاء الشباب لم يعرفوا دينهم حق المعرفة، لتقصيرهم في طلب العلم وعدم السؤال عما أشكل عليهم، وعدم قراءتهم في كتب السلف، فلما عرضت عليهم هذه الكتب بتزيين من شياطين الإنس والجن أعجبوا بالعرض والشكل، ويا للأسف فإن كثيرا من شبابنا وفتياتنا - إلا من رحم الله - يعجبون بكل ما يأتي عن طريق الغرب، ولو نبذوه أو حذروا منه، ومع ذلك فإنهم يتبعونه ويجعلونه منهاج حياتهم، وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ.

فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لتتبعن سَنَنَ من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**» قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»[1].

---

(١) متفق عليه.

ويسأل كثير من حديثي الاستقامة عن حكم قراءة الروايات المترجمة أو العربية، فنقول: إن وقتك - أيها المستقيم - أثمن من أن يضيع في قراءة هذه الأمور، لا سيما أنك في بداية استقامتك، وتحتاج في هذه المرحلة إلى أن تقرأ في الكتب العلمية والتربوية، لذلك فإني أرى أن تصرف النظر عن قراءة هذه الروايات كلها، سواءٌ كانت محرمة أم مسكوتًا عنها، وإن أبيت إلا أن تقرأ مثل هذه الروايات فاعلم أن المسألة فيها تفصيل، فإن كان يوجد فيها شيء من الشركيات والكفريات، أو تدعو إلى هدم القيم والأخلاق أو استثارة الشهوة الجنسية لدى قارئها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فإنها محرمة بلا شك، وإن كانت مما يبين تعاليم الدين أو تغرس لدى القارئ مكارم الأخلاق وجميل الطباع فلا بأس بها، إن شاء الله.

واعلم أن وقتك أثمن من تضيعه فيما لا ينفعك في دينك أو دنياك، وأن هذا الفراغ نعمة من الله من بها عليك، وأنك مسؤول عن هذا الفراغ فيما ضيعته.

قال ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ**»[1].

وقد آلمني منظر مر علي في مقتبل عمري، لا زلت أذكره لم يفارقني لحظة واحدة، ذلك أنني كنت في مقاعد كلية الشريعة، وكان الشيخ يشرح مسألة فقهية مهمة، وطلبة العلم يكتبون خلفه، ونظرت في أحد المقاعد فوجدت شابًا تبدو عليه مظاهر الاستقامة، عجبت من حاله، حيث كان مغلقًا كتاب

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، ٨/ ١٠٩.

(الروض المربع شرح زاد المستقنع) ويقرأ في أحد الروايات التافهة، ولا أريد ذكر اسمها حتى لا أروج لها، وأكاد أجزم أني لو ذكرت اسم هذه الرواية لطفل مميز لأبى أن يضيع وقته في قراءتها؛ لسخافتها ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، ثم رأيته في أحد المستويات الدراسية المتقدمة وقد انتكس، والله المستعان، وأخبرني أحد الزملاء بمثل هذا الحكاية وبنفس النهاية المؤلمة لبعض المستقيمين الذي شغلوا أنفسهم بهذه الروايات عما أتوا لأجله، فانتبه.

ثم احرص أن تعود نفسك القراءة، فإن كنت لا تحب القراءة العلمية مثلًا فابدأ بقراءة ما تحبه نفسك، كالسيرة النبوية أو قصص الأنبياء أو قصص الصحابة، ولا تكلف نفسك ما لا تطيق، فابدأ باليسير، كصفحة أو صفحتين حتى تعتاد نفسك، وسيأتي اليوم الذي تتمنى ألا يقاطعك فيه أحد حتى تستمتع بالقراءة.

واعلم أن القراءة لها فوائد كثيرة، منها تنمية ملكة الحفظ وسعة الاطلاع إلى غير ذلك من الفوائد.

النقطة الرابعة: تأهيل الشاب المستقيم اجتماعيًّا.

لا غنى للمستقيم عن مجتمعه؛ فالإنسان مدني بطبعه، وحاجته لمجتمعه تفرض عليه اختلاطه بهم وتكوين مجموعة من العلاقات الحميمة، ولذلك لابد للمستقيم أن ينمي تلك العلاقة ويغذيها بالحب والوئام؛ لأنه ليس كغيره، فهو مستقيم، والمستقيم مميز في دينه وأخلاقه وعلاقاته الاجتماعية

أيضًا، حيث يحتاج إلى معرفة طريقة التعامل مع الآخرين، وكيف يبني حياته العلمية والمهنية والمستقبلية، وكيف يكتسب الخبرات اللازمة لمواجهة صعوبات الحياة، وكيف يوفر لقمة العيش، وكيف يستعد لمرحلة الزواج، وكيف يغير مجتمعه ومَن حوله من أجل السير إلى الله.

ونتطرق في هذا النقطة إلى بعض القواعد المهمة في البناء السلوكي والاجتماعي التي لابد أن يسير عليها المستقيم لتنظيم علاقته الاجتماعية وخصوصا في بداية استقامته:

طريقة التعامل مع الأقارب:

ينبغي أن تكون علاقة المستقيم مع أقاربه علاقة مميزة، فالوالدان لهم علاقة خاصة، حيث يجب على المستقيم أن يتقرب إلى الله ببرهما والإحسان إليهما، وأن يعلم بأن رضا الله في رضاهما.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣- ٢٤].

بل لا بد أن تكون القدوة الحسنة في برهما أمام إخوتك ابتغاء ما عند الله.

فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «**الصلاة على ميقاتها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم بر**

الوالدين» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» فسكت عن رسول الله ﷺ ولو استزدته لزادني[١].

ولا تنشغل عنهما بأي شيء، حتى لو كنت تتقرب إلى الله بنوافل العبادات كقراءة القرآن أو قيام الليل، فبر الوالدين مقدم على التطوع بالصلاة وغيرها.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان جريج يتعبد في صومعة، فجاءت أمه – قال حميد: فوصف لنا أبو رافع صفة أبي هريرة لصفة رسول الله ﷺ أمه حين دعته، كيف جعلت كفها فوق حاجبها ثم رفعت رأسها إليه تدعوه – فقالت: يا جريج، أنا أمك، كلمني. فصادفته يصلي، فقال: اللهم أمي وصلاتي! فاختار صلاته، فرجعت، ثم عادت في الثانية فقالت: يا جريج، أنا أمك، فكلمني. قال: اللهم أمي وصلاتي! فاختار صلاته، فقالت: اللهم إن هذا جريج، وهو ابني، وإني كلمته فأبى أن يكلمني، اللهم فلا تمته حتى تريه المومسات! قال: ولو دعت عليه أن يفتن لفتن. قال: وكان راعي ضأن يأوي إلى ديره. قال: فخرجت امرأة من القرية، فوقع عليها الراعي فحملت فولدت غلامًا، فقيل لها: ما هذا؟ قالت: من صاحب هذا الدير. قال: فجاءوا بفئوسهم ومساحيهم، فنادَوه فصادفوه يصلي، فلم يكلمهم. قال: فأخذوا يهدمون ديره، فلما رأى ذلك نزل إليهم، فقالوا له: سل هذه! قال: فتبسم ثم مسح رأس الصبي فقال: من أبوك؟ قال: أبي راعى الضأن. فلما سمعوا ذلك

---

(١) متفق عليه.

منه قالوا: نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة! قال: لا، ولكن أعيدوه ترابًا كما كان. ثم علاه[١].

واعلم - أخي المبارك - أن التوحيد وبر الوالدين هو من أحسن ما يمكن أن يصنعه بنو آدم.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

فبر الوالدين، وبر الوالدة بخاصة، هو من أعظم أسباب توفيق الله لعبده لنيل خشية الله، وهو من أحب الأعمال إلى الله.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**ثم أبوك**»[٢].

وروي عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه أتاه رجلٌ فقال: إني خطبت امرأة، فأبت أن تنكحني، وخطبها غيري، فأحبّت أن تنكحه، فغِرتُ عليها فقتلتها، فهل لي من توبة؟ قال: أمك حيةٌ؟ قال: لا. قال: تب إلى الله، عز وجل، وتقرب إليه

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها، ٨/ ٣.

(٢) متفق عليه.

ما استطعت. قال عطاء بن يسار: فذهبت فسألت ابن عباس: لِمَ سألتَه عن حياة أمه؟ فقال: إني لا أعلم عملًا أقرب إلى الله عز وجل من بر الوالدة[١].

واعلم أن الوالدين يحبان أن يريا منك ما يدل على الاهتمام بهما، كتقديمهما في المجالس، واستشارتهما في أمورك، ومشاركتهما اتخاذ القرارات، والإكثار من الهدايا، وتقديم الطعام لهما دون طلبهما، والحديث معهما، والأنس بهما وملاطفتهما. وينبغي أن تجعل والديك، وبخاصة أمك، آخر من تفارق وأول من تقابل، وذلك حين سفرك وترحالك.

وبعض المستقيمين يترك برهم والقرب منهم بحجة الانشغال في الأعمال الدعوية والخيرية، وهذا سلوك خاطئ.

فقد أتى رجل إلى النبي ﷺ يريد الجهاد، وهو ذروة سنام الإسلام، فقال: «**أحي والداك؟**» قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهد**»[٢].

لاحظ أن النبي ﷺ وصف برهم بالجهاد، وذلك لأن من يريد أن يبرهم حق البر فلا بد أن يجاهد نفسه ويصبر على طلباتهم، وسيجد البار في ذلك مشقة وتعبًا يهون ويذهب ويبقى أجره بعد مماتهم.

تفقد أحوالهم بنفسك، فقد ينقصهم الكثير، لكن من طبع الوالدين أنهم يستحيون أحيانًا، أو لا يريدون تكليف أبنائهم بتلبية حاجاتهم الخاصة.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب بر الأم، ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١/ ١٥، وصححه الألباني.

(٢) متفق عليه.

ثم اعلم - أيها المستقيم - أن الله أوصى ببرهم ولو كانوا كفارًا، فلا تعقهم بحجة عصيانهم لله.

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [العنكبوت: ٨].

ولا يعني ذلك أن ترضى بالمنكر أو تفعله إذا أمراك به، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فلا يطاعون في معصية الله، لكن لا يهجرون أو يوبَّخون، ففعل المنكر الذي أمَرَا به محرَّم، وبرهم واجب، وعند عصيانهم لله تبارك وتعالى فانصحهم بالتي هي أحسن.

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام، وهي مشركة، فدعوتها يومًا، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اهد أم أبي هريرة**» فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي فقالت: مكانك يا أبا هريرة! وسمعت خضخضة الماء. قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت

عن خمارها ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال: قلت: يا رسول الله، أبشر؛ قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة. فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا. قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم حبب عُبَيدَك هذا**» يعنى أبا هريرة «**وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين**» فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني[(١)].

وأما عن تعاملك مع بقية أقاربك فاحرص على تطبيق السنة فيهم، فَصِل الرحم التي أمرك الله بصلتها.

فعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أخبرني بعمل يدخلني الجنة. قال: «**تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم**»[(٢)].

واحذر أيها المستقيم من قطيعة الرحم.

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال لها: مه! قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة! قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك! قالت:**

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة، ٧/ ١٦٥.

(٢) متفق عليه.

بلى يا رب! قال: فذاك لك» قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة قاطع**» قال سفيان: يعني قاطع رحم[(١)].

بل إن صلة الرحم من أسباب سعة الرزق ورغد العيش وطول العمر.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن يبسط عليه رزقه أو ينسأ في أثره فليصل رحمه**»[(٢)].

واعلم أن الصدقة على القريب الفقير لها أجران؛ أجر الصدقة وأجر الصلة.

فعن سلمان بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة**»[(٣)].

فصل من قطعك، واعف عمن ظلمك، وكن القدوة في البر والصلة، ولا يؤتى الدين من قبلك.

طريقة التعامل مع الآخرين:

تميز - أخي المستقيم - في علاقتك مع الآخرين، ولا يعني أن تكون جبارًا قبل استقامتك ذليلًا ضعيفًا بعد استقامتك، ترى المنكرات ولا تقوم بواجب الإنكار بحجة حسن الخلق، ولا تستح من كلمة (لا) أو خطأ عندما يكون

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه النسائي وغيره، كتاب الزكاة، باب الصدقة على الأقارب، ٥/ ٩٢، وصححه الألباني.

كذلك، بل احرص على ألا تكون لينًا ضعيفًا ولا صعبًا شديدًا، واحرص على أن تترك خلفك الذكر الحسن قدر الإمكان، وكن كالغيث، أينما حل نفع.

واعلم بأن خير الناس أنفعهم للناس، وأن المشي في حاجة أخيك المسلم خير من الاعتكاف في المسجد النبوي شهرًا كاملًا.

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد**» يعني مسجد المدينة «**شهرًا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام**»(١).

وانصر المظلوم ولو كان كافرًا، فإن الله قد حرم الظلم على نفسه وجعله محرمًا بين عباده.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**» قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: «**تأخذ فوق يديه**»(٢).

---

(١) رواه الطبراني، ١١/ ٨٤.

(٢) رواه البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلوما، ٣/ ١٦٨.

واعلم بأن للآخرين حقوقًا قد افترضها الله عليك فأدها.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**حق المسلم على المسلم ست**» قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: «**إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فَعُدْهُ، وإذا مات فاتبعه**»(١).

وإياك أن تخذل أخاك المسلم أو تظلمه لأنه يخالف فكرك أو عرقك.

واحرص على إنزال الناس منازلهم.

فعن أبى موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»(٢).

وقال ﷺ: «**أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم إلا الحدود**»(٣).

وتجاوز عن إساءة الناس إليك ولا تعاملهم بالمثل، فلا ترد الإساءة بالإساءة، بل رد الإساءة بالإحسان.

فعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال؛ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»(٤).

---

(١) سبق تخريجه ص ٦٥.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الآداب، باب في تنزيل الناس منازلهم، ٤/ ٤١١.

(٣) رواه أبو داود، كتاب الحدود، باب في الحد يشفع فيه، ٤/ ٢٣٢.

(٤) متفق عليه.

واعلم بأن الشحناء والقطيعة مما يحول دون مغفرة الله لك.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظِروا هذين حتى يصطلحا! أنظِروا هذين حتى يصطلحا! أنظِروا هذين حتى يصطلحا!**»(١).

الزواج واختيار شريكة الحياة:

احرص - أخي المبارك - على الاعتناء في اختيار زوجتك، فهي رفيقة دربك، وشريكة عمرك، وقد سماها الله صاحبة.

قال تعالى: ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٦].

ومن حق ابنك عليك أن تحسن اختيار أمه، فاحرص أيها المبارك على ألا تعدل بذات الدين أحدًا من النساء، ولو كانت ذات مال أو جمال أو نسب.

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**تنكح المرأة لأربع؛ لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(٢).

ويخطئ بعض حديثي الاستقامة في اختيار شريكة حياته، ذلك لأنه يحرص على اختيار المرأة الجميلة ويقول بأنني سأقوم بالتأثير فيها حتى تصبح مستقيمة فيغفل جانب الدين الذي أمر النبي ﷺ باختياره أولًا، ثم إذا لم يتمكن من تغيير سلوكها، أو لم تستجب لدعوته نتيجة لمخالفة الأمر النبوي يلجأ إلى

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، ٨/ ١١.

(٢) متفق عليه.

الطلاق، وفي حال وجود الأبناء فإنهم يعيشون في حرب نفسية ممزقين، فالأب له تفكيره ومنهجه، والأم بعكس ذلك تماما، مما يؤثر سلبًا في تكوين شخصية أبنائهم، ولو أن المستقيم اتبع السنة في اختيار زوجته لما وصل به الحال لذلك.

واعلم - أيها المبارك - أن الجمال سيزول مع مرور الأيام، وأن الدين ينمو ويبقى، وأنك لا تستطيع أن تؤثر في أخيك أو أختك، وهم أقرب الناس إليك، قبل زواجك، فكيف تغامر وتراهن على تغيير فتاة لا تعرف عنها إلا الشيء اليسير!

ولا يعني ذلك أن يتنطع الإنسان في اختيار شريكة حياته، فتعرض عليه الفتيات تلو الفتيات، وهو قابع على حاله، لا يريد أحدًا منهن بحجة أن طولها أو عرضها أو أنفها إلى غير ذلك لا يناسبه، أو يريدها الصوامة القوامة الزاهدة الورعة، وحاله بخلاف ذلك، أو يريدها مطأطئة الرأس معدودة الكلمات دائمة البسمة، أو أن تجمع صفات الحور العين! وغير ذلك من الشروط التعجيزية، بل يقبل المستقيم مَن كانت مقبولة الشكل، حسنة الخلق، مستقيمة على أمر الله، وسيجد من الأنس والمحبة الشيء الكثير، بل سيجملها الله في عينيه، فلا يبحث عن سواها، ولا يعني ذلك أن يتزوج المرأة القبيحة بل يسدد ويقارب.

فإذا تزوجت فاحرص على حسن الخلق والمعاشرة بالمعروف.

واعلم أن النساء خلقن من ضلع أعوج كما أخبر النبي ﷺ، فاصفح عنها، وتجاوز عن إساءتها، وراع مشاعرها، وبخاصة في تلك الأوقات التي أسقط الله عنها بعض التكاليف الشرعية كالصلاة والصوم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمرًا فليتكلم بخير أو ليسكت، واستوصوا بالنساء؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيرًا**»(١).

ولا يعني ذلك أن تكون هشًّا ضعيفًا، فإن القوامة بيدك، فاحرص على تغيير سلوكها، وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

ونرشدك هنا إلى توجيه عظيم ذكره رسول الله ﷺ وهو قوله: «**لا يَفْرَكُ مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خُلُقًا رضي منها آخر**»(٢).

قال النووي: ينبغي ألا يبغضها؛ لأنه إن وجد فيها خُلقًا يكرهه، وجد فيها خُلقًا مرضيًّا، بأن تكون شرسة الخلق، لكنها دينة أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به، أو نحو ذلك(٣).

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

العمل وضوابطه:

احرص - أيها المستقيم - ألا يشتمل عملك على محرم، وإن كان كذلك فاتركه، واعلم أن من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ٤/ ١٧٨.

(٢) رواه مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، ٤/ ١٧٨.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المرجع السابق، ١٠/ ٥٨.

فعن أبي قتادة وأبي الدهماء قالا: أتينا على رجل من أهل البادية فقلنا: هل سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا؟ قال: نعم، سمعته يقول: «**إنك لن تدع شيئا لله عز وجل إلا بدلك الله به ما هو خير لك منه**»(١).

فتركك لهذا العمل لوجه الله وابتغاء مرضاته لن يذهب هباء منثورًا، بل إذا علم الله منك صدق نيتك فسيرزقك من حيث لا تحتسب.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ولا يشترط عند استقامتك أن تغير عملك إذا كان مباحًا لا يشتمل على محرم، أما إذا عرض عليك عملان فاحرص أن يكون معيار الاختيار عندك ما يخدم الدين، أو ما كان نفعه متعديًا، ولا تترك العمل بحجة أن الرزاق هو الله وأنك متوكل عليه، فالعمل بالأسباب من التوكل على الله، فلا بد أن تعمل بالسبب وتبحث عن الرزق، وقد أعطى الرسول ﷺ رجلًا فأسًا وأمره أن يحتطِب ويبيع لئلا يبقى عالة على المجتمع، وضرب عمر بن الخطاب شبابًا جلسوا في المسجد وتركوا الكسب واعتمدوا على جيرانهم، وصاح في وجوههم: اخرجوا واطلبوا الرزق، فإن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة! وشارك الرسول ﷺ بنفسه في بناء مسجده وحفر مع الصحابة الخندق وقال:

---

(١) رواه الإمام أحمد، مسند الكوفيين، حديث الأعرابي، ٥/ ٨٧، وصححه الأرناؤوط.

«**المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف**»[١] وكان إدريس عليه السلام خيّاطًا، وزكريّا عليه السلام نجارًا، وداود عليه السلام حدادًا، ورعى موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام الغنم بالأجرة.

واحرص - أيها المبارك - أن تكون لك قيم ومبادئ في عملك لا تتركها بأي حال من الأحوال، منها:

١- أن تتقن عملك، ولا تكتفي بأن تقدمه على أي طريقة، بل قدمه وكأنك تقدمه لنفسك.

قال ﷺ: «**إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقِنَه**»[٢].

٢- مراقبة الله قبل مراقبة الناس في حضورك وانصرافك، واعلم أنك مسؤول.

٣- ألا تأكل ما لا يجوز لك من الأموال، ولو فعله كل الناس، فرب الناس هو من حرمه عليك، وهو من سيحاسبك وحدك.

٤- أن تكون أمينًا في عملك، وهي من صفات الأنبياء، فاحذر الخيانة.

فعن عبيد الله بن عبدالله أن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أخبره قال: أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم، فزعمت أنه أمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة. قال: وهذه صفة نبي[٣].

---

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله، ٨/ ٥٦.

(٢) سبق تخريجه ص ٦٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، ٣/ ٢٣٦.

٥- احذر أن تروج لسلعتك بالحلف الكاذب، فقد توعد النبي ﷺ من فعل ذلك بأن لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

فعن أبى ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرار. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**»(١).

وغير ذلك من القيم والمبادئ.

تغيير المجتمع ومن حولك:

لقد أُرسل رسول الله ﷺ في مجتمع تسوده المفاهيم والقيم الجاهلية الخاطئة، واستطاع أن يحول هذا المجتمع إلى مجتمع مثالي، ولم يكن ذلك بتغيير أفراده أو إزالتهم والإتيان بأفراد آخرين، بل كان بتغيير مفاهيمه وقيمه إلى مفاهيم وقيم مثالية صالحة لكل زمان ومكان، ودور المستقيم تجاه مجتمعه هو دور بارز ذو أهمية كبيرة ينبغي أن يوليها أكبر الاهتمام ، وليحرص أن يكون إنسانًا ذا قيمة لكي ينتفع منه مجتمعه، فصلاحه في حد ذاته قيمة عظيمة للمجتمع من حوله. لذلك -أيها المبارك- احرص أن تكون قدوة في سلوكك وعبادتك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم الإسبال بالإزار والمن بالعطية، ١/ ٧١.

فمن الصفات التي أثنت بها أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها على نبينا محمد ﷺ وأنه لن يضيعه الله بسببها، هي أنه كان يصل الرحم، ويطعم المساكين، وينصر المظلوم، ويعين الناس على نوائب الدنيا، فكانت هذه الصفات وغيرها مما جعل النبي ﷺ يسمى بين قومه (الصادق الأمين) وقد قيل: كل فرد قادر على إصلاح المجتمع إذا بدأ بنفسه.

ثم بعد ذلك ابدأ بدعوة الناس إلى الله تبارك وتعالى، بعد طلب العلم، بالرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة.

كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال النبي ﷺ: «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**»(١).

ثم ابدأ في دعوتهم بالأهم فالمهم، فالتوحيد أولًا، ثم ما يحتاجه الناس من أمور العبادات والمعاملات والآداب، كصفة الوضوء والغسل والتيمم والصلاة وأحكام الزكاة والصوم، وتبيين بعض المعاملات المحرمة، كالربا وبيع المجهول والغش في البيع، والإرشاد إلى بر الوالدين وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار، وآداب السلام، والأكل والشرب والنوم، وما يحتاجونه من أذكار في بعض المناسبات، والترغيب في الخير وعاقبته الحميدة وثماره

(١) متفق عليه.

الطيبة في الدنيا والآخرة، والتحذير من الشر وسوء عاقبته على الفرد والمجتمع، والوصية بالاستقامة، وملازمة التقوى، والصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى قضاء الله وقدره.

المحور الثالث

قواعد مهمة لحديث الاستقامة

القاعدة الأولى: اشكر الله على نعمة الهداية.

اعلم - أيها المبارك - أن الله قد منحك نعمة عظيمة لم تنلها بعقلك أو نسبك أو فضلك، بل الفضل والمنة لله، تبارك وتعالى، وهذه النعمة حُرِمَهَا خلق كثير، بل قد يحرم منها أقرب الناس إليك، وما ذاك إلا لأن الله تبارك وتعالى أراد بك خيرًا، فاشكر الله على هذه النعمة.

فبعض المستقيمين عندما يلحق بركب المهتدين لا يشكر ربه على هذه النعمة العظيمة، أو يشكره مرة ثم ينسى ربه، فبالشكر تدوم النعم، بل إن من أسباب الانتكاسة عدم شكر نعمة الاستقامة، وهذا ما يغفُل عنه كثير من المنتكسين، وقد أمر الله تبارك وتعالى بالشكر له على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة.

قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧] وقال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢] وقال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا!**»[(١)].

فإذا رأيت نعم الله عليك تتدفق، فقم بشكرها بالعمل الصالح والتقرب

---

(١) متفق عليه.

إلى الله بالعبادات والتواضع للخلق، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣] فالشكر الحقيقي هو ما ترجم إلى عمل.

واسأل الله الإعانة على عبادته وشكر نعمه.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك**» فقال: «**أوصيك يا معاذ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(١).

ولهذا الشكر فوائد عظيمة، منها: امتثال أمر الله تبارك وتعالى، ودوام النعم لا سيما نعمة الاستقامة والعون من الله عليها، والجزاء الذي أعده الله تبارك وتعالى للشاكرين في جنات النعيم.

القاعدة الثانية: الاستقامة لا تعني العصمة.

وهذا مطلب مهم جدًّا، حيث إن كثيرًا من المستقيمين قد انتكس ونكص على عقبيه بسبب عدم فهم هذه النقطة والأخذ بها، وهي من مداخل الشيطان ومزالقه الخبيثة، فعندما يتوب الشخص من ذنب ويصر على ذنب آخر، إما أنه لم يستطع التوبة منه، أو أنه يتوب منه لكنه يعود لمزاولته لضعف نفسه عن مقاومته.

فيوسوس الشيطان إلى هذا التائب أنه كاذب محتال في استقامته، ويرشده هذا الخبيث إلى الحل زاعمًا أنه الداعية إلى الخير المشفق عليه الذي يريد له الصلاح ويخاف عليه من عذاب الله، فيقول له: كن صادقًا ولا تنافق فتكون

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الوتر، باب في الاستغفار، ١/ ٥٦١، وصححه الأرناؤوط.

في الدرك الأسفل من النار مع المنافقين، فإما أن تكون معصومًا من كل ذنب، لا تخطئ ولا تعصي الله بأي معصية صغيرة كانت أو كبيرة، وهذه المنزلة لن تقدر عليها، وإما أنك تنتكس وهو خير لك، فخير لك أن تعصي الله وأنت صادق من أن تفعل بعض الطاعات وتصر على بعض المعاصي، فانتكس وعش كأي شاب، ولا يعني ذلك أنك إذا انتكست سوف تكفر، بل ستصلي وتصوم وتستمر في هذه الطاعات، ولكن لا تُغرِ الناس بمظهرك المستقيم؛ الإزار القصير وإعفاء اللحية، بل احلق لحيتك وأطل إزارك، وكن كما كنت قبل استقامتك، فكن صادقًا معصومًا لا تخطئ أو انتكس.

فإذا صدقته وأخذت بمشورته فإنك ستندم ندمًا عظيمًا، وكم من شاب صدق هذا الكذوب وظن أن الوضع سيدوم على حاله، ثم تفاجأ أنه يفعل من المنكرات والموبقات ما لم يكن في حسبانه، فماذا جنى! كان مستقيمًا على طاعة الله، مكثرًا من الطيبات، صادًّا عن الموبقات، ولم يكن يمارس إلا معصية أو معصيتين، مع حرصه على التوبة منها والإقلاع عنها والندم على فعلها، والآن لم يعد يفعل أي طاعة، بل لم يترك منكرًا إلا واقترفه!

فيا أيها المستقيم احذر من وسوسة الشيطان، واعلم أن النبي ﷺ أخبر أن كل ابن آدم خطاء؛ أي كلهم يقعون في الذنب، حتى لو بلغ بهم العلم والعبادة مبلغًا عظيمًا، بل حتى الأنبياء ليسوا معصومين إلا فيما أُمروا به ومن قبائح الذنوب، قال ﷺ: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»[(١)].

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ٥/ ٣٢١، وحسنه الألباني.

واعلم أن توبتك من ذنب وارتكابك لآخر لا يدل على أن توبتك من الذنب الأول فاسدة، بل إنها توبة صحيحة، وبقي عليك مجاهدة نفسك في الذنب الآخر والتوبة منه حتى ينجيك الله منه.

واعلم أنك لو تبت توبةً صادقةً من قلبك، ثم عدت إلى الذنب مرة أخرى، فإن توبتك الأولى من هذا الذنب تكون صحيحة أيضًا.

فعن عقبة بن عامر ﷺ أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أحدنا يذنب! قال: «**يكتب عليه**» قال: ثم يستغفر منه ويتوب! قال: «**يغفر له ويتاب عليه**» قال: فيعود فيذنب! قال: «**يكتب عليه، ولا يمل الله حتى تملوا**»(١).

واعلم أنه لن يسلم أحد من الشيطان ووسوسته، لكن عليك أيها المبارك بمجاهدة النفس.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

واعلم أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار، فالزم الاستغفار؛ فقد كان النبي ﷺ يستغفر في اليوم مائة مرة.

قال ﷺ: «**إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»(٢).

بل كان يتوب في اليوم مائة مرة.

---

(١) رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ١/ ٥٨.

(٢) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، ٨/ ٧٢.

قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله؛ فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة**»(١).

وعليك أيها المبارك بالإلحاح على الله بالدعاء، واسأله بصدق وخشية وإنابة أن يرزقك التوبة النصوح من كل ذنب وخطيئة وهي التي لا رجعة فيها إلى الذنب.

القاعدة الثالثة: احذر القنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله.

أخبرني أحد المنتكسين عن حاله في أثناء استقامته، قال: استقمت بسبب موت أحد أقربائي كان لي قرينًا وخليلًا، فعندما مات خفت من الموت بسبب تقصيري قبل استقامتي، فكنت أتذكر الموت في كل لحظة وأبكي طوال اليوم والليلة، وكنت أحتضن أبنائي في المنزل وأبكي وهم يبكون ببكائي، وحرمت على نفسي كل مباح، ولم أعد أحب الدنيا ولا أهتم بمظهري واحتياجاتي، وكان سراب الموت يطاردني في كل لحظة، حتى قنطت من رحمة الله، ثم ما لبثت على هذه الحال مدة من الزمن حتى انتكست وتركت ذلك كله.

يقع بعض المستقيمين ضحية للشيطان حيث يدخل عليه من باب القنوط من رحمة الله لمعاصيه السابقة، أو يأتيه عندما يفعل معصية ما في أثناء استقامته ولو كانت صغيرة، فيوسوس له أنها كبيرة، وأن الله لن يغفر له أبدًا حتى لو تاب، وأنه سقط من عين الله تبارك وتعالى، فيعيش هذا المستقيم حربًا نفسية

---

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، ٨/ ٧٢.

بينه وبين قرينه، ولا يلهم الاستغفار والتوبة والإنابة في تلك اللحظات إلا من وفقه الله لها.

والصحيح أن الإنسان مهما عظم ذنبه وكثرت خطاياه، ثم أتى ربه منيبًا تائبًا يرجو رحمته ويخاف عذابه، فإن الله يغفر له برحمته ومغفرته وجوده.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وعن أبي طويل شطب الممدود أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت رجلًا عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئًا، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ قال له رسول الله ﷺ: «**فهل أسلمت؟**» قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. قال: «**تفعل الخيرات، وتترك السيئات، فيجعلهن الله لك خيرات كلهن**» قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال: «**نعم**» قال: الله أكبر! فما زال يكبر حتى توارى[1].

وفي الجانب الآخر لا تأمن مكر الله، فبعض حديثي الاستقامة لا يكون له إلا القليل من العبادات، وبعضهم اكتفى في استقامته بمظهره ولا يجتهد أو يعمل لآخرته، وبعضهم يسمع المعازف أو يتساهل في النظر المحرم، فإذا ناصحته قال: يكفرها الصلاة والصيام! وبعضهم يتكل ويعتقد أنه سيأمن لا محالة يوم الفزع الأكبر بدون عمل، وأنه سيدخل الجنة من غير حساب ولا

(١) رواه الطبراني، المرجع السابق، ٨/ ٤٧٥. وصححه الألباني في الصحيحة (٣٣٩١).

عذاب مع الأبرار، فهو لا يرجو ذلك أو يتفاءل بقبولها بل إنه جازم بذلك، وهذا هو المذموم.

قال تعالى: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٨-٩٩].

واعلم أن الخوف المحمود هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، عز وجل، فإذا تجاوز ذلك خِيفَ منه اليأس والقنوط.

والرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابها، أو تاب من معصيته ورجا قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل فهو غرور وتمنٍّ مذموم.

قال بعضهم: الخوف والرجاء للمؤمن كالجناحين بالنسبة للطائر.

لكنه يطير بهما في سماء التعبد لربه، عز وجل، ولابد من تحقيق التكافؤ والتوازن بين الخوف والرجاء حتى تستقيم حياة المؤمن في الدنيا، ويفوز بالنعيم في الآخرة، إذ إن تغليب الخوف دون حاجة إليه يفضي إلى القنوط، كما أن تغليب الرجاء دون حاجة إليه يفضي إلى الأمن المؤدي إلى التفريط، وكلا هذين الطريقين؛ القنوط والتفريط، يؤديان بالإنسان إلى النار، والعياذ بالله.

والطريق الوحيد للنجاة من النار والوصول إلى الجنة هو التوازن بين الخوف والرجاء، فلا إفراط ولا تفريط، فلا بد أن يوازن بين الخوف والرجاء، فالخوف يدفعه إلى الابتعاد عن المعاصي، والرجاء يدفعه إلى فعل الطاعات، وهذا هو طريقك إلى الجنة.

قال ابن القيِّم: القلب في سيره إلى الله، عز وجل، بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطير جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناج الخوف، هذه طريقة أبي سليمان وغيره، قال: ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإن غلب عليه الرجاء فسد. وقال غيره: أكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف وغلبة الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه(١).

ولهذا قيل: من عبدالله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري - أي: خارجي - ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف والحب والرجاء فهو مؤمن موحد.

وقد ذكر الله تعالى الخوف مقرونًا بالرجاء في كتابه الكريم في مواضع كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] وقوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨] وقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١/ ٥١٧.

ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٥٠] وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ ﴾ [الإسراء: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وكما في قوله سبحانه: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة: ١٦].

وعن أَنَسِ بنِ مالكٍ ﷺ أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «**كيف تجدك؟**» قال: والله يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي! فقال رسول الله ﷺ: «**لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف**»(١).

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: وعزتي، لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، إذا أمنني في الدنيا أخفتُه يوم القيامة، وإذا خافني في الدُّنيا أمنته يوم القيامة**»(٢).

فلا تقنط من رحمة الله، ولا تأمن مكر الله، بل كن وسطًا بين ذلك، تفعل الطاعة رجاء ما عند الله، وتترك المعصية خوفًا من الله.

القاعدة الرابعة: معيار اختيار الصحبة.

احرص - أخي المبارك - على أن تلزم صحبة صالحة من بداية استقامتك،

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، المرجع السابق، ٣/ ٣١١، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه ابن حبان، كتاب الرقائق، باب حسن الظن بالله تعالى ٢/ ٤٠٦ وحسنه الأرناؤوط.

وعلامة هذه الصحبة أنهم من يعينك على طاعة الله والتذكير بها، والمعاتبة والمناصحة حال وقوع التقصير وفعل المنكر.

واعلم أن الصحبة الصالحة ليست ادعاءً أو شعارات، أو من يسمون أنفسهم كذلك وحالهم بخلاف ذلك، ولا من يجتمع في الحفلات والمهرجانات والبرامج والأنشطة وفي الولائم والمناسبات، وتفتقدهم في المساجد وحلق الذكر والدروس العلمية، وقد قيل: قل لي من تصاحب أقل لك من أنت.

واعلم أن الصاحب يؤثر في شخصية صاحبه وهمته، فاحرص على اختيار الصاحب الصالح المتفائل ذي الهمة العالية، واحذر من صحبة من يزيد الذنوب ويفسد القلوب، فيغتاب ويكذب باسم المزاح والترويح عن النفس، أو من يجتمع للدرهم والدينار ويغيب عند الدعوة والإنكار ويزعم أنه من الصحبة الصالحة!

ولن تجد هذا الرفيق الصالح النافع إلا في المسجد، فإن لم تجده في المسجد، أو لم يكن حريصًا عليه فاحذر منه، فإن وجدته فالزمه، واحرصا على التعاون على البر والتقوى.

واحرص - أيها المبارك - أن تكون صحبتك عونًا لك على لم الشمل وجمع الشتات، وإياك والتفرق والاختلاف، فقد نبذت الشريعة الإسلامية التفرق والتحزب في أدلة كثيرة، منها:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام: ١٥٩-١٦٠].

قال ابن سعدي رحمه الله: أي شتتوه وتفرقوا فيه، وفيه النهي عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية[١].

وعن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة**»[٢].

قال ابن حجر: أصل الحلف أنهم كانوا يتعاقدون ويتحالفون على نصر بعضهم بعضًا، ويضعون أيديهم جميعًا في جفنة فيها طيب أو غيره[٣].

قال الحسن: خرج علينا عثمان بن عفان رضي الله عنه يومًا يخطبنا، فقطعوا عليه كلامه، فتراموا بالبطحاء، حتى جعلت ما أبصر أديم السماء. قال: وسمعنا صوتًا من بعض حجر أزواج النبي ﷺ فقيل: هذا صوت أم المؤمنين - قال القاضي إسماعيل: أحسبها أم سلمة رضي الله عنها - قال: فسمعتها وهي تقول: ألا إن نبيكم قد برئ ممن فرق دينه واحتزب! وتلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾.

واجعل معيار المحبة والبغض لديك ما وافق الشرع الحنيف، فلا تحزب لبشر أو مجموعة، بل لتكن محبتك وبغضك لله وحده، فالبعض يوالي من كان ضالًّا ويعادي من كان صالحًا لتعصب عرقي أو فكري أو قومي، والله تعالى يقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ

(١) تفسير ابن سعدي، المرجع السابق، ص ١٥٩، بتصرف.

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم.

(٣) فتح الباري، المرجع السابق، ١/ ١٠٧.

كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وهذه من المصائب التي ابتلوا بها، فإن دعوته لم يجبك، وإن استنصحته لم ينصحك، أو نصحته لم يقبل منك، ولا يبادرك بالسلام أو يرده عليك إن سلمت عليه، بل وصل ببعضهم الحال إلى التزهيد في بعض العلماء والتلميع بكثير من الجهلاء، ويزعمون أن من فارقهم فقد خسر الدنيا والآخرة، ومن حالفهم فهو على ثغر من ثغور الدين!

أما الصحبة السابقة فاحذر من الاختلاط بهم أو الرجوع إليهم، ولو كان بغرض دعوتهم والتأثير فيهم، أو أن تسايرهم وتزعم أنك قوي الإيمان أو الشخصية ولن يستطيعوا أن يضلوك أو يحرفوك عن سواء السبيل، وهذا مفهوم خاطئ، فكم من شخص كان داعية مستقيمًا وأصبح متعاطيًا للخمور أو في دور الدعارة، والعياذ بالله، بسبب الصحبة السيئة.

وإليك هذه القصة، يقول الراوي:

صحبنا على ظهر سفينة نجول بها حول البلدان طلبا للرزق، شاب صالح، نقي السريرة طيب الخلق، كنا نرى التقى يلوح في قسمات وجهه، والنور والبشر يرتسمان على محياه، لا تراه إلا متوضئًا مصليًا، أو ناصحًا مرشدًا، إن حانت الصلاة أذن لنا وصلى بنا، فإن تخلف أحد عنها أو تأخر عاتبه وأرشده، وكان معنا على هذه النصيحة السجية طيلة أسفارنا.

وألقى بنا البحر إلى جزيرة من جزر الهند، فنزلنا إليها، وكان مما تعوده البحارة أن يستقوا أيامًا يرتاحون فيها، ويتجمعوا بعد عناء السفر الطويل يتجولون في أسواق المدينة ليشتروا أغرب ما يجدون فيها لأهلهم وأبنائهم ثم يرجعون إلى السفينة في الليل، وكان منهم نفر ممن وقع في الضلال، يزور أماكن اللهو والهوى ومحال الفجور والبغاء، وكان ذلك الشاب الصالح لا ينزل من السفينة أبدًا، بل يقضي هذه الأيام يصلح في السفينة ما احتاج منها إلى إصلاح، فيفتل الحبال ويلفها، ويقدم الأخشاب ويشدها، ويشتغل بالذكر والقراءة والصلاة وقته ذاك.

قال الراوي وعينه ترقرق بالدموع وتنحدر على لحيته: وفي إحدى السفرات، وبينما كان الشاب منشغلًا بأعماله تلك إذا بصاحب له في السفينة ممن أتبع نفسه هواها وانشغل بطالح الأمور عن صالحها، وبسافل الأخلاق عن عاليها يهامسه ويقول: صاحبي، لم أنت جالس في السفينة لا تفارقها؟ لم لا تنزل حتى ترى دنيا غير دنياك؟ ترى ما يشرح الخاطر ويؤنس النفس! أنا لم أقل لك: تعال إلى أماكن البغاء وسخط الله، ولا إلى البارات وغضب الله، هيهات يا صاحبي، لكن تعال فانظر إلى مُلَاعِب الثعابين كيف يتلاعب بها ولا يخافها، وإلى راكب الفيل كيف يجعل من خرطومه له سلمًا ثم يصعد برجليه ويديه حتى يقيمه على رجل واحدة، وآهٍ لو رأيت من يمشي على المسامير أنَّى له الصبر، ومن يلقم الجمر كأنما هو تمر، ومن يشرب ماء البحر فيسيغه كما يسيغ الماء الفرات، يا أخي اذهب وانظر الناس!

فتحركت نفس الشاب شوقًا لما سمع، فقال: وهل في هذه الدنيا ما تقول؟ قال صاحب السوء: نعم، وفي هذه الجزيرة، فانزل تر ما يسرك. ونزل الشاب الصالح مع صاحبه، وتجولا في أسواق المدينة وشوارعها، حتى دخل به إلى طرق صغيرة ضيقة، فانتهى بهما الطريق إلى بيت صغير، فدخل الرجل البيت وطلب من الشاب أن ينتظره، وقال: سآتيك بعد قليل، لكن إياك إياك أن تقترب من الدار! جلس الشاب بعيدًا عن الباب يقطع الوقت قراءة وذكرًا، وفجأة إذا به يسمع قهقهة عالية، فيفتح الباب وتخرج منه امرأة قد خلعت جلباب الحياء والمروءة، أواه! إنه الباب نفسه الذي دخل فيه الرجل، تحركت نفس الشاب فدنا من الباب ويضع سمعه لما يدور في البيت، إذا به يسمع صيحة أخرى، فنظر من شق الباب ويتبع النظرة أختها لتتواصل النظرات منه وتتوالى، وهو يرى شيئًا لم يألفه ولم يره من قبل، ثم رجع إلى مكانه، ولما خرج صاحبه بادره الشاب مستنكرًا: ما هذا! ويحك! هذا أمر يغضب الله ولا يرضيه! فقال الرجل: اسكت يا أعمى يا مغفل! هذا أمر لا يعنيك!

قال الراوي: ورجعنا إلى السفينة في ساعة متأخرة من الليل، وبقي الشاب ساهرًا ليلته تلك مشتغل الفكر فيما رآه، قد استحكم سهم الشيطان من قلبه، وامتلكت النظرة زمام فؤاده، فما إن بزغ الفجر وأصبح الصباح حتى كان أول نازل من السفينة، وما في باله إلا أن ينظر فقط ، ولا شيء غير أن ينظر، وذهب إلى ذلك المكان، فما إن نظر نظرته الأولى وأتبعها الثانية حتى فتح الباب، وقضى اليوم كله هناك، واليوم الذي بعده كذلك، فافتقده ربان السفينة وسأل

عنه: أين المؤذن؟ أين إمامنا في الصلاة؟ أين ذلك الشاب الصالح؟ فلم يجبه من البحارة أحد، فأمرهم أن يتفرقوا للبحث عنه، فوصل إلى علم الربان من ذهب به إلى ذلك المكان، فأحضره وزجره وقال له: ألا تتقي الله! ألا تخشى عقابه! عجِّلْ، اذهب فأحضره. فذهب إليه مرة بعد مرة، لكن دون جدوى، فلم يستطع إحضاره؛ لأنه كان يرفض ويأبى الرجوع معهم، فلم يكن من قائد السفينة إلا أن أمر عدة من الرجال أن يحضروه قسرًا، فسحبوه بالقوة وحملوه إلى السفينة.

قال الراوي: وأبحرت السفينة راجعة إلى البلاد، ومضى البحارة إلى أعمالهم وأخذ ذلك الشاب في زاوية من السفينة يبكي ويئن، حتى لتكاد نياط قلبه أن تتقطع من شدة البكاء، ويقدمون له الطعام ولا يأكل، وبقي على حاله البائسة هذه بضعة أيام، وفي ليلة من الليالي ازداد بكاؤه ونحيبه، ولم يستطع أحد من أهل السفينة أن ينام، فجاءه ربان السفينة وقال له: يا هذا، اتق الله! ماذا أصابك! لقد أقلقنا أنينك فما نستطيع أن ننام، ويحك! ما الذي بدل حالك؟ ويلك! ما الذي دهاك؟ فرد عليه الشاب وهو يتحسر: دعني فإنك لا تدري ما الذي أصابني! فقال الربان: وما الذي أصابك؟ عند ذلك كشف الشاب عن عورته، وإذا الدود يتساقط من سوأته، فانزعج ربان السفينة وارتعش لما رأى وقال: أعوذ بالله من هذا! وقام عنه الربان، وقبيل الفجر قام أهل السفينة على صيحة مدوية أيقظتهم، وذهبوا إلى مصدرها فوجدوا ذلك الشاب قد مات وهو ممسك خشبة السفينة بأسنانه! استرجع القوم وسألوا الله حسن الختام.

فانظر - أيها المبارك - كيف زل الشاب بعد أن كان مستقيمًا بسبب الصحبة السيئة، فانتبه أن تعود للصحبة السيئة لأي ظرف كان حتى لا تكون خاتمتك كخاتمة هذا الشاب، واشتغل بنفسك وتهذيبها وتأهيلها حتى يكون لديك رادع إيماني وعلم شرعي تستطيع أن تدعو به غيرك ثم ادعهم بعد ذلك.

القاعدة الخامسة: احذر من الاشتغال بالظاهر وإغفال الباطن.

يعتني كثير من حديثي الاستقامة بتغيير مظهره عنايةً فائقةً، ويغفُل عن الاعتناء بتغيير باطنه وتهذيبه، ولذلك يقع في كثير من التخبطات، بل يستغرب الكثير من سلوكه، فمظهره يدل على الكمال، وسلوكه ينافي مظهره تمامًا، واختلال مفهوم الظاهر والباطن يعد من جملة المفاهيم التي اختلت في دنيا الناس، ولو علم الموفق أن الله تبارك وتعالى لا ينظر للصور والأشكال بقدر ما ينظر للقلوب والأعمال لتبين له خطأ ما هو عليه.

قال ﷺ: «**إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[(١)].

بل قد يقود هذا التناقض بين الظاهر والباطن إلى الوقوع في النفاق والعياذ بالله.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ٨/ ١١.

ولذلك لما أراد أبوبكر ﷺ أن يولي عمر بن الخطاب ﷺ الخلافة من بعده دعا عثمان بن عفان ﷺ فقال: أخبرني عن عمر. فقال: أنت أخبرنا به! فقال: على ذلك يا أبا عبدالله! فقال عثمان: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته وأن ليس فينا مثله! فقال أبو بكر: يرحمك الله! والله لو تركته ما عدوتك[١].

فاحرص - أخي المبارك - أن يكون باطنك خيرا من ظاهرك، ولا يعني ذلك عدم الاهتمام بالظاهر، بل هو مطلب مهم، لكن المنهي عنه هو الاهتمام به فقط دون عناية بالباطن.

القاعدة السادسة: الزم القرآن والمسجد.

يستقيم كثير من الشباب عن طريق المراكز والأنشطة الدعوية المصحوبة ببرامج مفيدة تبين لهم طريق الاستقامة وتدلهم عليه، ولكن يتعلق هؤلاء الشباب بهذه البرامج والأنشطة تعلقًا مذمومًا، وعندما يفارقونها أو تنتهي أو تغلق هذه البرامج ويفارق المستقيم أقرانه ومن تعلق بهم، يدخل عليه الشيطان ويخذله في استقامته، مما يقوده إلى الانتكاسة، والعياذ بالله، ولو أن هذا المستقيم سلك الدرب الأمثل الذي سلكه من سبقه من الصحابة والتابعين ومن تبعهم لكان شامخًا كالجبال ثابتًا كالصخر لا يزعزعه مفارقة أي مخلوق.

لذلك ينبغي لمن يسلك طريق الاستقامة أن يلتزم القرآن والمسجد، ليجعلهما محل راحته واطمئنانه وإليهما يبث أحزانه، ويجعلهما رفيقَي دربه ليأنس بهما ولا يفارقهما، فهما الصاحبان والرفيقان حتى لقاء الله تبارك وتعالى، لذلك ينبغي

---

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، ٢/ ٣٢٦.

أن يكون لك ورد تقرأه من القرآن الكريم كل يوم، ولا بد أن تتدبر كلام الله حال قراءته في صلاتك أو خارجها، ولا بد أن تتعلم ما تقرأه حتى تتدبره بحق، فتقرأ التفاسير الميسرة - كتفسير ابن سعدي رحمه الله - وتفسر السور التي تقرأها في صلاتك، وهكذا حتى تفسر كلام الله كاملًا، ثم احرص على العمل به وحفظه، واقرأ هذا الحفظ في قيامك لله آناء الليل وأطراف النهار.

ثم اجعل انطلاقة استقامتك من المسجد، فاحرص على التزامه والإكثار من الخطا إليه وانتظار الصلاة فيه، تمحى خطاياك وترفع درجاتك في الجنان.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**»(١).

القاعدة السابعة: احذر التصنيفات.

عندما تسأل بعض حديثي الاستقامة عما هو معلوم من الدين بالضرورة، لا يكاد يدلي بأي معلومة؛ لعدم إدراكه أو قلة اطلاعه، وقل أن يذكر أحد الناس عنده إلا وتجده يصنفه بتصنيفات لم تسمع بها قط، وبعضهم يكون مهووسًا بتصنيف الناس ويعتقد أنه على خير وثغر.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، ١/ ١٥١.

ونعني بالتصنيف هنا تصنيف المؤمن بحسب الهوى والتفاخر أو الظن، وإني لأعجب عندما أسمع من يصنف الناس بحسب طبقاتهم الاجتماعية والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، من أكرم الناس؟ قال: «**أتقاهم**» قالوا: ليس عن هذا نسألك! قال: «**فيوسف نبي الله**»(١).

فكيف يحقق الإيمان من لم يستطع أن يطهر قلبه ولسانه من نتن الجاهلية وقد سماها النبي ﷺ كفرًا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر؛ الطعن في النسب، والنياحة على الميت**»(٢).

فأين استقامتهم من الكلام في أعراض المسلمين واحتقارهم وإهانتهم!

فعن المعرور بن سويد قال: مررنا بأبي ذر بالربذة وعليه برد، وعلى غلامه مثله، فقلنا: يا أبا ذر، لو جمعت بينهما كانت حلة! فقال: إنه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام، وكانت أمه أعجمية، فعيرته بأمه، فشكاني إلى النبي ﷺ فلقيت النبي ﷺ فقال: «**يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية**» قلت: يا رسول الله، من سب الرجال سبوا أباه وأمه! قال: «**يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية،**

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب، ١/ ٥٨.

هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[(١)].

والعجيب ممن يفعل هذا الفعل الشائن ثم يسوغ ذلك ويجعله من الدين، فقد جمع بين معصية تصنيف الناس والكذب على الله ورسوله.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

وقال ﷺ: «**من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النارِ**»[(٢)].

وفي الجانب المقابل تجد بعضهم اتخذ تصنيف العلماء والدعاة مطيةً وهدفًا، فلا يمر عليه اسم طالب علم إلا ألصق به تهمًا لينفر الناس عنه ويحذرهم منه، وعندما يُسأل عن هذا السلوك يقول: إنما هو من باب قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤] ويلبس عليه الشيطان من الحجج الواهية والبراهين الهزيلة الشيء الكثير، فيغتاب ويكذب في سبيل تزهيد الناس عن هذا المصنَّف ويحسب أنه من المهتدين.

قال الشيخ بكر أبوزيد رحمه الله: وإذا علمت فشوّ ظاهرة التصنيف الغلابة، وأن إطفاءها واجب، فاعلم أن المحترفين لها سلكوا لتنفيذها طرقًا، منها: أنك ترى الجراح القصاب كلما مر على ملأ من الدعاة اختار منهم

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

ذبيحًا، فرماه بقذيفة من هذه الألقاب المرة، تمرق من فمه مروق السهم من الرمية، ثم يرميه في الطريق ويقول: أميطوا الأذى عن الطريق؛ فإن ذلك من شعب الإيمان! وترى دأبه التربص والترصد؛ عين للترقب وأذن للتجسس، كل هذا للتحريش وإشعال نار الفتن بالصالحين وغيرهم، وترى هذا «الرمز البغيض» مهمومًا بمحاصرة الدعاة بسلسلة طويل ذرعها، رديء متنها، تجر أثقالًا من الألقاب المنفرة والتهم الفاجرة، ليسلكهم في قطار أهل الأهواء، وضلال أهل القبلة، وجعلهم وقود بلبلة وحطب اضطراب!

وبالجملة فهذا القطيع هم أسوأ «غزاة الأعراض» بالأمراض والعض بالباطل في غوارب العباد والتفكه بها، فهم مقرنون بأصفاد الغل، والحسد، والغيبة، والنميمة والكذب، والبهت، والإفك، والهمز، واللمز، جميعها في نفاذ واحد إنهم بحق رمز الإرادة السيئة، يرتعون بها بشهوة جامحة، نعوذ بالله من حالهم، لا رعوا..

وفي عصرنا الحاضر يأخذ الدور في هذه الفتنة دورته في مسالخ من المنتسبين إلى السنة المتلفعين بمرط ينسبونه إلى السلفية، ظلمًا لها، فنصبوا أنفسهم لرمي الدعاة بألسنتهم الفاجرة المبنية على الحجج الواهية، واشتغلوا بضلالة التصنيف. ولكن بلية لا لَعَا لها، وفتنة وقى الله شرها حين سرت في عصرنا ظاهرة الشغب هذه إلى ما شاء الله من المنتسبين إلى السنة ودعوى نصرتها، فاتخذوا (التصنيف بالتجريح) دينًا وديدنًا، فصاروا إلبًا إلى أقرانهم من أهل السنة وحربًا على رؤوسهم وعظمائهم، يلحقون بهم الأوصاف المرذولة وينبزونهم بالألقاب المستشنعة المهزولة، حتى بلغت بهم الحال أن فاهوا بقولتهم عن إخوانهم في

الاعتقاد والسنة والأثر (هم أضر من اليهود والنصارى) و(فلان زنديق)... وتعاموا عن كل ما يجتاب ديار المسلمين، ويخترق آفاقهم من الكفر والشرك والزندقة والإلحاد، وفتح سبل الإفساد والفساد، وما يفد في كل صباح ومساء من مغريات وشهوات وأدواء وشبهات تنتج تكفير الأمة وتفسيقها، وإخراجها نشأ آخر منسلخًا من دينه وخلقه... وهذا الانشقاق في صف أهل السنة لأول مرة حسبما نعلم يوجد في المنتسبين إليهم من يشاقهم، ويجند نفسه لمثافنتهم، ويتوسد ذراع الهم لإطفاء جذوتهم، والوقوف في طريق دعوتهم، وإطلاق العنان يفري في أعراض الدعاة، ويلقي في طريقهم العوائق في عصبية طائشة[١].

فاحذر - أيها المستقيم - أن تسلك مسلك المصنفين فتكون مع الخاسرين، واهتم بما يقربك من الله تبارك وتعالى، واشتغل بنفسك وأهل بيتك ثم بمحيطك واحرص على أن تعلمهم ما ينفعهم، فبعض الناس، هداه الله، يحدث من حوله من العوام بأسماء أناس، لربما قد وضعوا رحالهم في الجنة، فيصنفهم بغير حق، ويجبر هؤلاء العوام على حفظ أسماء هؤلاء المصنفين وما قيل فيهم، وهم - أعني العوام - يلحنون في سورة الفاتحة، بل قد لا يحفظونها، وبعضهم يخطئ في وضوئه وصلاته، وأخونا المستقيم مشتغل بالتصنيف! والله المستعان.

واعلم - أيها المبارك - أن العلماء قد كفَوك مؤونة تبيين الحق للناس والتحذير من أصحاب الفتن، واعلم أن تصنيفك للناس بغير ما نسبوا أنفسهم إليه تشفيًا أو لمصلحة حزب من الغيبة والكذب، وهما من كبائر الذنوب، فعندما يذكر

(١) تصنيف الناس بين الظن واليقين، بكر أبو زيد، دار العاصمة، ص ٢٢ -٢٨ -٣٩ بتصرف.

المصنف في مجلس يقال: اتركوا فلانا فإنه من مجموعة كذا أو حزب كذا! مقللًا شأنه، أو ساخرًا منه ومحذرًا.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها! قال: «**هي في النار**» قال: يا رسول الله، فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها، وإنها تَصَدَّقُ بالأثوار من الأقط، ولا تؤذي جيرانها بلسانها! قال: «**هي في الجنة**»[(١)].

وقال ابن حجر مترجمًا لابن سند، بعد أن ذكر ذكاءه وعلومه: في أواخر عمره تغير ذهنه ونسي غالب محفوظاته حتى القرآن، ويقال إن ذلك كان عقوبة له لكثرة وقيعته في الناس[(٢)].

القاعدة الثامنة: لا تشتغل بالمفضول عن الفاضل.

يوسوس الشيطان لبعض مريدي الخير، حيث يشغله بالمفضول عن الفاضل، فينشغل بالبرامج الترفيهية عن طلب العلم والدعوة إلى الله تبارك وتعالى، أو قد يشتغل بلقاء الزملاء والأقران ويغفُل عن بر والدَيه، وهم في أمسِّ الحاجة إليه، فشغله الشيطان بالمفضول عن الفاضل.

وأحيانًا ينشغل بالمندوب عن الواجب، فتجده بارزًا في الأنشطة الدعوية والبرامج الثقافية، حريصًا على الوجود في ميادين الإغاثة مع عدم الحاجة إليه، ولكن ليس له ورد يقرأه من كتاب الله، ولا يحافظ على الصلاة في وقتها، ولا

---

(١) رواه الإمام احمد، مسند أبو هريرة ﷺ، ٢/ ٤٤٠، وحسنه الأرناؤوط.

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ٢/ ١١٠.

يعني ذلك عدم الخروج في سبيل الله أو عدم الاشتغال بالدعوة والخير، لكن ينبغي ألا يكون الاشتغال بها على حساب الفاضل أو الواجب أحيانًا، بل إن بعض العلماء قد عد من أقسام المكروه أن يفعل الإنسان خلاف الأولى.

يقول ابن القيم في مراتب الشيطان في إغواء بني آدم: المرتبة السادسة: وهو أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل، فيأمره بفعل الخير المفضول ويحضه عليه ويحسنه له، إذا تضمن ترك ما هو أفضل وأعلى منه، وقل من يتنبه لهذا من الناس، فإنه إذا رأى فيه داعيًا قويًّا ومحركًا إلى نوع من الطاعة لا يشك أنه طاعة وقربة، فإنه لا يكاد يقول إن هذا الداعي من الشيطان، فإن الشيطان لا يأمر بخير، ويرى أن هذا خير، فيقول: هذا الداعي من الله. وهو معذور، ولم يصل علمه إلى أن الشيطان يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير؛ إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوت بها خيرًا أعظم من تلك السبعين بابًا وأجل وأفضل.

وهذا لا يتوصل إلى معرفته إلا بنور من الله يقذفه في قلب العبد، يكون سببه تجريد متابعة الرسول، وشدة عنايته بمراتب الأعمال عند الله، وأحبها إليه، وأرضاها له، وأنفعها للعبد، وأعمها نصيحة لله تعالى ولرسوله ولكتابه ولعباده المؤمنين خاصتهم وعامتهم، ولا يعرف هذا إلا من كان من ورثة الرسول ونوابه في الأمة وخلفائه في الأرض، وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك، فلا يخطر بقلوبهم، والله تعالى يمن بفضله على من يشاء من عباده[١].

(١) بدائع الفوائد، ابن القيم، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ٢/ ٤٨٥.

فاحرص أيها المبارك أن تترك ما لا يجدي وأن تشتغل بما ينفعك.

القاعدة التاسعة: لا تشتغل بالفتوى.

يقع العوام في خطأ فاحش تجاه بعض حديثي الاستقامة، فبمجرد أن يستقيم أو تبدو عليه مظاهر الصلاح يقومون باستفتائه وسؤاله عن مسائل فقهية لا علم له بها، فيجرون هذا المستقيم إلى مزلق عظيم، ألا وهو أن يفتيهم بلا علم خشيةَ أن يظهر أمامهم بمظهر الجاهل، فيحملهم ذلك على السخرية منه وسؤاله: لماذا استقمت إذًا! وهذا ما لا يريد أن يسمعه المستقيم، لا سيما في بداية استقامته، وقد يوصف بالكذب والنفاق، وقد يؤدي هذا إلى انتكاسته.

أما العارف الورع فإنه يتحرج عن القول على الله بلا علم، فيحيل هذه الأسئلة إلى العلماء وطلبة العلم، ولا بد للإنسان أن ينظر عمن يأخذ دينه، فمظاهر الصلاح تدل على صلاح من تبدو عليه، لكنها لا تعني سعة علمه وتضلعه في أحكام الدين ومسائله، ونحن مأمورون أن نسأل أهل العلم فيما أشكل علينا.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل: ٤٣].

ولم يقل الله: فاسألوا أهل الصلاح والعبادة. إنما أرشد السائل أن يسأل أهل الذكر والعلم، وأخبر النبي ﷺ أن شفاء العي السؤال[١].

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم، ١/ ١٣٢.

واحذر أيها المبارك أن تقول على الله بلا علم.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨] وقال: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٥٩] وقال جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

قال ابن القيم: وأما القول على الله بلا علم فهو أشد هذه المحرمات تحريمًا وأعظمها إثمًا، ولهذا ذكر في المرتبة الرابعة من المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع والأديان، ولا تباح بحال، بل لا تكون إلا محرمة، وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير الذي يباح في حال دون حال، فإن المحرمات نوعان: محرم لذاته لا يباح بحال، ومحرم تحريمًا عارضًا في وقت دون وقت، قال الله تعالى في المحرم لذاته: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ ثم انتقل منه إلى ما هو أعظم منه فقال: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فهذا أعظم المحرمات عند الله وأشدها إثمًا، فإنه يتضمن الكذب على الله ونسبته إلى ما لا يليق به، وتغيير دينه وتبديله، ونفي ما أثبته وإثبات ما نفاه، وتحقيق ما أبطله وإبطال ما حققه، وعداوة من والاه وموالاة

من عاداه، وحب ما أبغضه وبغض ما أحبه، ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله، فليس في أجناس المحرمات أعظم عند الله منه، ولا أشد إثمًا، وهو أصل الشرك والكفر، وعليه أسست البدع والضلالات، فكل بدعة مضلة في الدين أساسها القول على الله بلا علم، ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا من فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان؛ إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد، وقد أنكر تعالى على من نسب إلى دينه تحليل شيء أو تحريمه من عنده بلا برهان من الله[١].

وقال ﷺ: «**أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار**»[٢].

بل كان الصحابة، رضوان الله عليهم، يتدافعون الفتوى، وهم من هم في العلم! وما حملهم على ذلك إلا الورع والخشية؛ ذلك لأنهم يقدرون خطورة القول على الله بلا علم، ويود الواحد منهم أن يكفيه شأن الفتيا غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل وسعه وطاقته في معرفة حكمها، ثم أفتى بكل حيطة وحذر.

وقد اشتهر عن الإمام مالك، رحمه الله، أنه سئل عن أربعين مسألة، فأجاب في أربع منها، وقال في الباقي: لا أدري! فقال السائل: قد جئتك من بلد بعيد فماذا أقول للناس؟ فقال: قل: سألت مالكًا وقال: لا أدري.

بل إنك إذا أفتيت بغير علم فإنك تحمل وزر من أفتيت.

---

(١) مدارج السالكين، المرجع السابق، ١/ ٣٧٢.

(٢) مسند الدارمي، باب كراهية الفتوى، ١/ ٢٥٩.

قال رسول الله ﷺ: «**من قال عليَّ ما لم أقل فليتبوأ بنيانه في جهنم، ومن أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه**»(١).

واحرص - أيها المبارك - أن تحيل كل سؤال لا تعرفه إلى أهل العلم، فإنك لا تؤاخذ على جهلك بالمسألة، ولكن ستؤاخذ لجرأتك على الفتوى وتصديك لها بدون علم، وعندما توضح عدم إلمامك بالمسألة وتتورع عن القول على الله بلا علم فإن ذلك مما يزيدك رفعة عند الله وعند الناس، فإن سألك سائل فابحث عن خلاصك أنت قبل خلاصه هو.

القاعدة العاشرة: التقنية سلاح ذو حدين.

من نعم الله علينا أن عشنا في زمن تطورت فيه آلات الاتصال وأساليب التقنية، وأصبح الكل يستطيع أن يعبر عما في مكنونه وما يدور في خلده بيسر وسهولة، حيث إنها اختصرت على الإنسان كثيرًا من الجهد والمشقة، فعندما يريد الإنسان معلومة ما في مشارق الأرض أو مغاربها لا يلبث أن تكون بين يديه في ثوانٍ أو دقائق، وكذلك يستطيع الإنسان أن يتواصل مع أي شخص في أي مكان في العالم، وهذه من النعم التي تستحق الشكر.

ومن شكر النعمة ألا تستخدم في معصية الله، فكما أنها قد أفادت في تيسير الصعاب لمن أراد أن يستخدمها في طاعة الله تبارك وتعالى، إلا أن هناك من

---

(١) أخرجه الحاكم، كتاب العلم، ٦/ ١٨٤، وروى أبو داود من قوله: «من أفتى بغير علم كان إثمه...» إلى آخر الحديث، كتاب العلم، باب التوقي في الفتيا، ٣/ ٣٥٩، وحسنه الألباني.

ضعاف النفوس من استغلها في هتك الأعراض وهدم البيوت وانتهاك حرمات الله تبارك وتعالى، وكم من السيئات ترصد على البعض بسبب استخدامه لهذه التقنية في معاصي الله!

يقول أحدهم: لي صديق حميم، انتقل لرحمة الله في حادث سير، هذا الصديق لديه مجموعة بريدية إباحية، ولديه موقع إباحي يحتوي على صور جنسية، والمصيبة أننا لا نعرف الرمز السري لتلك المواقع، نريد إتلافها ولم نستطع، كان هذا الرجل محمولًا على النعش، ومجموعته تستقبل صورًا جنسية، والدته رأت في المنام صبية يمرون على قبره ويتبولون فوقه، المسكينة لا تدري عن خفايا الأمور! والله إن هؤلاء الصبية الذين يتبولون على قبره هم الذين يرسلون الآن تلك الصور لمجموعته! خاطبنا الشركة المستضيفة للموقع، وكان ردهم أنهم لا يستطيعون إلغاء الاشتراك، قلنا لهم: لقد مات. فلم يغير قولنا شيئًا، تلك المجموعة الخبيثة والمواقع القذرة أساءت له، وهذا من زيغ شياطين الجن والأنس، والله المستعان.

وأنا أنصح أخي حديث الاستقامة ألا يرتبط بهذه التقنية ويتعمق فيها إن كان يستخدمها قبل استقامته استخدامًا سيئًا، فإن الشيطان قد يسول له أن يدخل لهذه الشبكة العنكبوتية، فإنه الآن مستقيم، ولن يدخل للمواقع الإباحية لأنه تائب، ويوسوس له؛ أن انظر إلى المواقع المباحة ومتع نفسك، ثم إذا دخل لهذه المواقع زين له الشيطان ما كان ينظر إليه سابقًا ووقع في حباله وعقده.

أما إذا لم يكن له قبل توبته استخدام سيئ للتقنية فإني أنصحه أن ينمي موهبته ويستغل هذه التقنية في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى والدلالة على الخير، فكثير من الشباب قد أغواهم الشيطان، والعياذ بالله، وقد سمعنا أنه يجتمع في بعض المجموعات من الشباب والفتيات أكثر ممن يجتمعون في مكان حقيقي، فحري بك أيها المبارك أن يكون لك معهم شأن، في دعوتهم وتبصيرهم واستضافة الدعاة وطلبة العلم وتقريبهم إليهم، لعل الله أن يجعلك مفتاح خير لهم ويهدي الله على يديك الكثير منهم.

ومن جهة أخرى فإنني أُسر بالكتابات النافعة والأفكار المفيدة التي تهدف للتغير الناجح والانتقاد البناء، والتي تنبع من فكر واسع وخبرة حكيمة عاصرت الأحداث ومارست التجارب، حتى تمكنت من تشييد فكرة أو ترسيخ نظرية مدعومة بالأدلة الواضحة، والحجج الداحضة فتفيد المسترشد ويطمئن بها.

بيد أن هذا النقلة التقنية الهائلة قد أظهرت من يبتكر أفكارًا استغرب منها اللبيب، وحار فيها الحكيم، وفرح بها اللئيم، فتراه يقول: قلت:.. وإذا تمعنت في حاله وجدته أبعد الناس عما يقول، فتعجب من مراده، وما حمله على ما قال، بل لو نظرت في عمره لوجدت أن كلامه أكبر منه، فلم ينبع عن علم ومعرفه، ولم تصاحبه خبره وفراسة.

وبعضهم جعل التقنية للتشفي من أعدائه، وسل سيفه وأشهر سلاحه، فتارة يتكلم على حكام البلاد، وتارة يتكلم فيمن حوله من العباد، وتارة

يشكك في مصداقية رفاقه، وتارة يقدح في طلابه وأقرانه، وتارة يقدح في الجيران، فإذا بدأ يكتب وضعنا أيدينا على قلوبنا، وإذا فرغ من الكتابة نظر كل منا في وجه الآخر ولسان حالنا: من يقصد منا!

والبعض جعل السلبية منهجه، والتشاؤم دربه، فإذا قرأت كلامه أو سمعت له يقول الجاهل: هلك الناس! فتجده لا يفكر إلا أفكارًا سلبية، تعكر صفو القارئ والمستمع، وترسم صورة في مخيلته بخلاف الحقيقة، وتظن من عبارته أنه يعيش مع الفرس أو الروم، أو يعيش في كهف مظلم مليء بشرار الخلق، أو كأنه في عصر غير عصرنا أو في كوكب آخر!

والبعض جعل التقنية مرتعًا للنصائح والتوجيهات، والرسائل والتنبيهات إيحاءً وصراحة، وما أجمل النصائح لا سيما في زمننا هذا الذي قل فيه الناصح الصادق، لكن الإشكال ليس في النصيحة، بل الإشكال في الصدق، فلم يكن صادقًا في نصيحته، بل بعضهم تعدى هذه المرحلة وأصبح فاضحًا، فعندما تنظر لحاله تجده أبعد الناس عن تطبيق هذه النصيحة، بل لما تواجهه بما قال وما نصح تجده يسوغ ويعلل ويفسر ويخصص ويقيد ويستثني، وكأن ما قاله سابقًا من نصائح أشبه بنظام، وتعليلاته واستثناءاته أشبه ما تكون بلائحة تفسر هذا النظام!

والبعض دخل في السياسة، وما أدراك ما السياسة! فمن تكلم فيها لقي التشجيع والمتابعين، وأصبح يشار إليه بالبنان، ويوصف بالبطل الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، فشرق وغرب، وتوقع وأكد، وصرح وأزبد، ودخل

نيات القوم، وسوغ أفعال آخرين، فلما انجلى الغبار، وبانت الصورة، ووضعت النقاط على الحروف، لم يكن لكلامه نصيب من الصحة، وما أكده بالأمس طارت به الريح، وما أقسم عليه كفر عن يمينه، ولكن من الضحية!

والمصيبة عندما تكتشف أن تحليلاته كانت منبثقة من عقل فارغ، وقلب حاقد، وكان الهوى ظاهرًا، حتى أنك لترى فعلًا محمودًا واضحًا للعيان من أحدهم، فيفسره بتفسيرات محالة، وذلك لترسبات سابقة وتصفية حسابات.

والبعض جعل التقنية مرتعًا للتيارات والخلافات الفكرية، فيمدح من ينتمي له، ويذم ويفسق من يخالف فكره، بل يتتبع عثراتهم، ويشهر بهم حال خطئهم، ويتبع قاعدة (إن لم تكن معي فأنت ضدي) ولو كان ذلك المسلم الموحد المخالف لفكره في مكان يمثل فيه المسلمين لا ينصره.

وأحسن هؤلاء حالًا قوم يسكتون في موطن تتمنى منهم النصرة، ويقدحون في موطن تتمنى منهم السكوت.

وهذه والله من المصائب التي ابتلينا بها، وأخشى أن يأتي علينا زمان يدخل العدو أرضنا، فتجد المسلم لا يدافع عن المسلم، أو يعين العدو على المسلم بحجة أنه مخالف لفكره.

والبعض أراد الشهرة بالحرام، فباع الباقي بالفاني، واشترى رضا الفجرة بسخط رب البررة، فبدأ يجتر عبارات الكفار، ويدعو للخنا والفجور، وأخذ يصادم الدين، وهو لو صدم نعجة لطرحته، فلا علمًا حوى، ولا فهمًا اجتبى، بل امتلأ قلبه هواء، وعقله غباء، ونسي أن الله يمهل ولا يهمل، وأن الموت

يأتي بغتة، والقبر صندوق العمل، وإن تقاعس قاضي الأرض عن تنفيذ حدود الله، فقاضي السماء سيحكم فيهم بأمره.

والبعض جعل التقنية وسيلة لتفريغ شهوته، فأخذ يبحث عن صور الكاسيات العاريات، وانساق خلف مزامير الشيطان، واختار أحلى الأغاني والألحان، وما درى أن الداعي للضلال شريك في العمل، وسيجني مثل وزر من دعا، لا ينقص من أوزارهم شيئًا، فتجده يكلم هذه، ويضحك مع تلك، وكأنه ما درى أن الله يرى.

وآخرهم وأفضلهم هم منارات الهدى وأقلام الحكمة، يكتبون ولكن ليس كأي كتابة، فإن كتب تعجبت من حسن كلامه وجمال عبارته وتورعه، أحسبهم قد اغتنموا علمًا وفيرًا وعقلًا راشدًا، وطحنتهم الأيام والسنين حتى استقامة أقلامهم.

إننا نريد أن نرى كتابات واقعيه مبنية على حكمة وعقل رشيد.

إننا نريد كل إنسان أن يتكلم بما يعقل وما يفهم.

إننا نريد أن تكون كتاباتنا متفائلة لا تشفِّيَ فيها ولا حقد.

إننا نريد أن تبقى هويتنا إسلامية بكل شرف وعزة.

أخيرًا إن كنت قائلًا لا محالة فقل خيرًا أو اصمت.

القاعدة الحادية عشرة: عدم التعلق بالأشخاص والغلو فيهم.

عندما يتوب الشخص على يد أحد ما، فإنه يُكِنُّ له الشعور بالفضل بعد الله سبحانه وتعالى، أو عندما يعجب المهتدي من شخص ما لثناء الناس عليه

أو لدعوته وأخلاقه، مثلًا، تقوده هذه المحبة وهذا الشعور إلى التعلق به ومحاكاة أقواله وأفعاله دون أن يشعر أحيانًا، ولا شك أن اتخاذ المهتدي مرشدًا له يدله على الخير ويحذره من الشر، ومستشارًا فيما يشكل عليه في أثناء بداياته في الاستقامة، لهو مقصد صحيح، لكن الإشكال يكمن في التعلق به تعلقًا مذمومًا، فلا يرى الحق أو الباطل إلا من حيث يراه، ولا يأنس أو يتقوى على الطاعة إلا حال وجوده، بل قد يقع في أخطاء شرعية فيوافقه فيها، وإذا أتاه الحق من غيره لا يقبله، أو إن أنكر عليه أحدهم منكرًا ظاهرًا وبين له الأدلة من النصوص الشرعية لم يرتدع، وهذا التعلق يقع فيه بعض حديثي الاستقامة، ومن مظاهره تقصير بعض المستقيمين في السنن الرواتب، أو ترك الأذكار بعد الصلوات، لأنه يرى قدوته لا يحافظ عليها، أو أن يعمل بقول مرجوح يرى به شيخه، أو الوقوع في التعصب المذموم شرعًا لشخصه أو لفكره، وهذا يقود غالبًا إلى انتكاسة البعض حال انقطاعه عن المتعلق به لأي ظرف كان، بل قد يصل الأمر إلى الرياء، فلا يعمل المعروف إلا أمامه، ولا ينتهي عن المنكر إلا تلقاء وجهه، وقد يصل إلى ترك ما أمر الله وفعل ما نهى الله عنه، وهذا سلوك خاطئ لأن الله تبارك وتعالى أمر عباده ألا يعتصموا إلا بحبله، ولا يتوكلوا إلا عليه، ولذلك فإن من علق تميمة أو غيرها وتعلق قلبه بها وظن بأنها منجيته من الموت فإن الله جل وعلا يوكله إليها، قال ﷺ: «**من تعلق شيئًا وكل إليه**»[1].

(١) سبق تخريجه ص ٣٨.

واعلم أن كل شخص في هذا الوجود لديه من النقائص الشيء الكثير، فلا معصوم إلا الأنبياء فيما أُمروا به ومن قبائح الذنوب، فلا تقدس معلمك أو شيخك أو مربيك لأنهم غير معصومين، وقد يقعون في الخطأ بدون قصد، ولو سألتهم لما أيدوك على ذلك.

وإن كنت متخذًا قدوة فاتخذ محمد ﷺ قدوة لك.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فاتخذه قدوة لك في كل شأنك، ولا تتخذ غيره قدوة، بل خذ من كل شخص ما وافق فيه الحق واترك ما خالفه، ولا تعلق قلبك بغير الله، ولذلك كانت راحة النبي صلى الله ﷺ في الصلاة لأنها صلة العبد بربه.

قال ﷺ: «**يا بلال، أقم الصلاة أرحنا بها**»(١).

بل احرص على الزهد فيما في أيدي الناس وترك التعلق بهم إطلاقًا، فلا تسألهم شيئًا.

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يتقبل لي بواحدة وأتقبل له بالجنة؟**» قلت: أنا. قال: «**لا تسأل الناس شيئًا**»، قيل: فكان ثوبان يقع سوطه، وهو راكب، فلا يقول لأحد: ناولنيه. حتى ينزل فيأخذه (٢).

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الآداب، باب في صلاة العتمة، ٤/ ٤٥٣.

(٢) رواه أحمد، مسند باقي الأنصار، عن ثوبان، ٥/ ٢٧٧ وصححه الأرناؤوط.

قال ابن تيمية: وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته ورجائه لقضاء حاجته ودفع ضرورته، قويت عبوديته له وحريته مما سواه، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه، كما قيل: استغن عمن شئت تكن نظيره، وأفضل على من شئت تكن أميره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره. فكذلك طمع العبد في ربه ورجاؤه له، يوجب عبوديته له، وإعراض قلبه عن الطلب من غير الله والرجاء له يوجب انصراف قلبه عن العبودية لله، لا سيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق، بحيث يكون قلبه معتمدًا إما على رئاسته وجنوده وأتباعه ومماليكه، وإما على أهله وأصدقائه وإما على أمواله وذخائره، وإما على ساداته وكبرائه، كمالكه وملكه وشيخه ومخدومه وغيرهم، ممن هو قد مات أو يموت، قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨] وكل من علق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه، أو يرزقوه، أو أن يهدوه، خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك، وإن كان في الظاهر أميرًا لهم مدبرًا لهم متصرفًا بهم، فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر، فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة، ولو كانت مباحة له، يبقى قلبه أسيرًا لها، تحكم فيه وتتصرف بما تريد، وهو في الظاهر سيدها؛ لأنه زوجها، وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها، لا سيما إذا دلَّت بفقره إليها وعشقه لها وأنه لا يعتاض عنها بغيرها، فإنها حينئذ تحكم فيه بحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه، بل أعظم، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم

من استعباد البدن، فإن من استعبد بدنه واسترق لا يبالي إذا كان قلبه مستريحًا من ذلك مطمئنًّا، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص[١].

ولا تقدس المخلوقين، ولو كانوا من كانوا في فضلهم وعلمهم وورعهم، أو كان أميرًا في السفر، أو رئيسًا أو مشرفًا في الحضر، ومن مظاهر التقديس ألا يُخالَف ولا يُناقَش ولا يُسأَل، فإن فعل التابع ذلك قال له: اقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢].

القاعدة الثانية عشرة: احذر الانتكاسة الخفية.

يقع كثير من المستقيمين في الانتكاسة دون أن يشعروا بها، وأماراتها ترك الإقبال على الطاعات والوقوع في المعاصي والذنوب، ولا يبقى له من استقامته إلا المظهر الخارجي، فتجده لا يصلي بعض الصلوات في وقتها، وليس له من النوافل شيء يداوم عليه، ولا يذكر ربه تبارك وتعالى إطلاقًا، وينام الليل كله دون أن يصلي ركعة لله، بل تجده متساهلًا في سماع الموسيقى حين عرضها في التلفاز، ويتساهل في النظر المحرم كذلك، ويكثر من الكذب، أو يخلف المواعيد أو لا تأمنه على شيء، بل بعضهم يصر على معصية الله تبارك وتعالى، ولم يعد للإيمان في قلبه نصيب، ومع ذلك كله تجده يغتر بمدح الناس وثنائهم عليه!

---

(١) مجموع الفتاوى، المرجع السابق، ١٠/ ١٨٤-١٨٥.

فإذا وصلت إلى هذه المرحلة وظهرت فيك أماراتها فاعلم أنك قد انضممت إلى صفوف المنتكسين دون أن تشعر، وبادر نفسك قبل أن يوافيك الأجل، وأنت على معصية الله قابع وللطاعة هاجر.

واعلم أن الذي حمل الناس على الثناء والمدح أنهم قد اغتروا بستر الله عليك وبمظهرك الدال على التمسك بالسنة، وما علموا خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ولو علموا ذلك لما سمعت منهم أعذب الكلام وأطيبه.

واعلم أن الله هو الذي سيحاسبك على تفريطك ومعصيتك، فلا يغرنك ثناء المادحين، وعد إلى قوافل المهتدين، وتب إلى أرحم الراحمين، وعاهد نفسك على عدم التفريط والعودة إلى العزيز الحميد.

وأعجب ممن يفرح عندما يواجه بصفاته القبيحة، وبعضهم يبتسم لك عندما تخبره بأنه قد ظهرت عليه أو توفرت فيه بعض صفات المنافقين، فهل يظن أنها صفات كمال وقد عدها النبي ﷺ من صفات المنافقين! وكان الصحابة، رضوان الله عليهم، يخشون على أنفسهم أن يكونوا من المنافقين وهم من هم! فكيف بحالي وحالك!

۞۞۞

المحور الرابع

المبادئ العامة في التعامل مع حديث الاستقامة

لا بد أن يراعي المربي مع حديث الاستقامة بعض المبادئ العامة بعد مراعاة الإخلاص لله تبارك وتعالى في كل قول وعمل، ومنها:

المبدأ الأول: تعليقه بالله.

وقد سبق شرح هذه النقطة في المحور السابق، والذي يعنينا هنا هو أن يغرس المربي في نفس المستقيم قوله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**»[1] فتكون لدى هذا الناشئ مراقبة ذاتية لأعماله وتصرفاته، فلا يعمل الطاعات أو يترك المنكرات لأجل شخص ما، بل لله وحده لا شريك له، وهذا هو معنى الإخلاص.

ويقع كثير من المربين في خطأ عظيم، ألا وهو تعليق الشاب حديث الاستقامة بشخصه أو فكره، والغضب عند التحاقه بغيره، زاعمًا أنه سيفيده أكثر من غيره، أو أن من سواه قد يسيء إليه أكثر مما يصلح، فيبدأ يشتت هذا الناشئ، ويحذره من أقوام ظاهرهم الخير والصلاح، بل ويزهده فيما عند غيره من العلم والفضل.

فانتبه أيها المربي الفاضل أن تجعل هذا الشاب ضحية لخلافاتك الفكرية مع الغير، فتسيء للدين وتتسبب في انتكاسة من أقبل إلى محاضن الخير والصلاح،

---

(١) رواه الترمذي وحسنه، كتاب البر والصلة، باب معاشرة الناس، ٤/ ٣٥٥، وحسنه الألباني.

فالبعض يغضب عندما يلتحق أحد طلابه إلى مربٍّ آخر فيه من الفضل والخير الشيء الكثير، فلا يشجع هذا الطالب أو يأخذ بيديه ويفرح لذلك، بل يغضب ويحذره أن يذهب إلى غيره، وهو يعلم أنه قد يستفيد من غيره أكثر مما يستفيد منه، وقد وقفت على هذا الشيء بنفسي، والله المستعان.

ثم احرص على تعليق المستقيم بالمسجد والمصحف، لا بالمراكز والبرامج، فالقرآن وعد الله، جل وعلا، بحفظه، والمساجد ثابتة ما دام هذا الدين، لكن البرامج والمراكز والأنشطة ستزول، وأنت أيها المربي ستموت يومًا ما، فاحرص على تعليقه بما كان ثابتًا ونفعه متعدٍّ، ولا تعلقه بالمتغير الزائل. ثم إنه لن يقتبس من المسجد إلا كل خير وصلاح، ففيه الصلاة والدروس والمواعظ وخطب الجمعة والاعتكاف، وغيرها من مقومات الثبات على دين الله تبارك وتعالى، ومهما كان في المربي من صلاح وخير إلا أنه بشر، يخطئ أحيانًا، ويسهو أو يزل، وسيزول يومًا ما.

المبدأ الثاني: اكتشف المستقيم ثم وجهه التوجيه السليم.

اعلم – أيها المبارك – أن الناس قدرات وطاقات، فقد يبرز شخص في مجال ما دون الآخر، فبعض يمتاز بالحفظ، وبعض بالفهم، وبعض بالتخطيط، وآخرون بالتنفيذ، وهكذا، فكل شخص يبدع فيما يتقنه، ولا يعيب أحدهم على الآخر، ولذلك لما كتب عبدالله العمري العابد إلى الإمام مالك، رحمه الله، يحضه على الانفراد والعمل، فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في

الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر[١].

لذلك لا تجبر الشاب المستقيم على أن يكون كما تريد أنت، بل احرص أن يكون كما خلقه الله، ثم ابحث عن قدراته ومواهبه ونمِّها له، فالبعض لديه قدرات هائلة لم يستطع أن يكتشفها أو لم يعلم بها، أو قد يعلم بها لكنه يحتقر نفسه، أو قد يثبطه من حوله، فاحرص على تشجيعه والأخذ بيده وتنمية مواهبه، فقد يكون يومًا ما ذا شأن، ولن ينسى فضلك عليه، أو قد ينفع الله به الأمة فيكون لك مثل أجره إن شاء الله.

واحذر أن تحتقر أحدًا من طلابك، أو تكسر عزيمته وتكبت مواهبه وتسخر منها، أو لا تقبلها لأنك تريده أن يكون مثل فلان من الناس، أو على شخصية في مخيلتك تريدها، وقد لا تناسب شخصيته أو لم يجبله الله عليها.

ثم احذر - أيها المربي - أن تلزم الشاب حديث الاستقامة على سلوك معين لأنه يوافق برامجك وأنشطتك، وإن لم يبرز فيه زهدت فيه ونفرت منه، وكم انتكس شاب بسبب هذا التعامل من حيث لا يشعر بعض المربين، فاتق الله في نفسك.

وبعض المربين يرى طاقات هائلة من بعض الشباب حديثي الاستقامة، ويعلم في قراره نفسه أن هذا الشاب يحتاج إلى توجيه وعناية ودلالة على

---

(١) سير أعلام النبلاء، المرجع السابق، ١٥/ ١١٥.

الطريق السليم، لكن لا يحرك ساكنًا ولا يفكر إطلاقًا أن ينفع هذا الشاب ويقدم له المساعدة، إما لعدم الاستشعار بالمسؤولية، أو لعدم الاهتمام، أو الانشغال بغيره عنه، أو الانشغال بنفسه فقط، ولو أنه استشعر الأمانة ودوره في تهذيب سلوك الناشئة وتربيتهم على الفطرة السليمة والنصيحة للدين لكان تصرفه بخلاف ما فعل.

فعن جرير بن عبدالله ﷺ قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم[١].

وعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٢].

فكم من طاقات اتجهت إلى الشر والفساد، واستقبلتهم الأيدي الخبيثة وأعداء الدين، فبرزوا ونجحوا، على حد زعمهم، ثم نفاجأ أن هذا الشاب قد كان مستقيمًا، أو كان ناشئًا قريبًا من محاضن التربية، وما ذاك إلا من تقصيرهم في النصيحة وتفريطهم في الأمانة، وسيسألهم الله عن هؤلاء ماذا فعلوا بهم!

فاحرص أيها المربي على أن تكون مربيًا بحق.

المبدأ الثالث: عدم الإكثار من اللهو واللعب، والأمور تقدر بقدرها.

يتخلل البرامج الهادفة مجموعة من البرامج الترفيهية والترويحية بغرض الدعوة غير المباشرة أو الترويح عن النفس خشية السآمة، وهذا ما يفعله كثير

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

من المربين، واستقطاب الشباب عن طريق الترفيه مقبول نوعًا ما كإجراء مؤقت لكن العيش لأجل الترفيه مرفوض تمامًا، وهو ما ولَّد لنا منتكسين في الباطن، لذلك عندما يستقيم الشاب بعد التحاقه بنشاط ما عن طريق بعض البرامج الترفيهية، ثم يخاطب ببعض البرامج الهادفة والمؤثرة، فإنه يتأثر ويستقيم، وبعد ذلك يكون بحاجة إلى برنامج آخر، لا السابق الذي التحق بسببه قبل استقامته فهو الآن تائب، والتائب يحتاج إلى تأهيل واحتضان وبرامج خاصة به، لا كالبرنامج الأول الذي خوطب به غير المستقيم حتى يلتحق بركب التائبين.

ويخطئ بعضهم حين يربي المهتدي بداية استقامته ببرامج لا تصلح له، ويكثر من اللهو واللعب والانشغال بالمباحات والصد عما أتى المستقيم لأجله ألا وهو طريق الاستقامة والهداية، فينحرف بعضهم؛ لأن ما بني على باطل فهو باطل، أو يصبح بعضهم همه الأول والأخير الترفيه، فلا يوجد إلا بوجودها، وقد ينقطع مدة طويلة حال عدم وجود ما يهواه، ولا يكون له من استقامته إلا المظهر، لذلك ينبغي للمربين أن يهتموا بالغايات ولا يقدسوا الوسائل، فالغاية من هذه الأنشطة هي الدعوة إلى الله، تبارك وتعالى، ودلالة الشباب على تحقيق الاستقامة، والوسائل هي البرامج والأنشطة، فلا يبالغ فيها، ولا يغلب جانب الترفيه على جانب الجد، والحرص على أن تقدر الأمور بقدرها.

المبدأ الرابع: المُرْدَانُ والتعامل معهم.

عشق المردان من المصائب التي ابتلي بها بعضهم، والله المستعان، وبعضهم يعجب في الأمرد لا لدينه أو أخلاقه إنما لجماله، فيميزه عن غيره، فخطؤه

صواب، وكذبه صدق، وباطله حق، ولا يرى سواه، أو يسمع لغيره، وإذا ما خاطبته في ذلك قال: أنتركه للصحبة السيئة ليفسدوه!

وعلى العكس من ذلك تمامًا، تجد من كان بمثل حاله، لكن مظهره بشع، يعامل بالظلم ولا تغفر سيئاته أو تنسى، فسبحان الله! وإذا ما حدث بينه وبين الأمرد خصومة فتلك أم المصائب، فقد يوبخ أو يطرد ولو كان مظلومًا.

ويسول الشيطان لدى البعض أنهم على خير، وأن حبهم لهؤلاء المردان إنما هو لله وحده لا شريك له، وكم سمعنا من مصائب حدثت لبعضهم من شذوذ وسلوك شائن، وبعضهم يحرص على هؤلاء المردان ويعطيه من الهدايا الثمينة والسلع الباهظة، فإذا ما حدثته في ذلك قال لك: إنما هي لدعوته إلى الله! فلماذا لا يفعل ذلك مع كل طالب في أنشطته وبرامجه!

والبعض يحرص ألا يلتحق في برامجه إلا المردان، فإذا ما سئل عن ذلك قال إنه لم يرزق ولدًا! فالجواب أقبح من الفعل.

ولقد حذر كثير من أهل العلم من النظر إلى المردان ومخالطتهم، ورد في كثير من أقاويل السلف ونقلها أهل العلم في كتبهم، وبعضهم جعل فتنتهم أشد من فتنة النساء، ولذلك سموهم (الأنتان) ليس لاستقذار ذوات المردان، وإنما لاستقذار النظر إليهم شرعًا، كما يستقذر النظر إلى كل ما لا يجوز النظر إليه.

وبعضهم يصافح الأمرد مصافحة الزوج مع زوجته؛ بتحسس وتنعم.

فعن أبي سهل قال: سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم (اللوطيون)

على ثلاثة أصناف: فصنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل[١].

وقد منع بعض أهل العلم مصافحة المردان إن كان ذلك سيوغل في قلبه شيئًا.

يقول البهوتي رحمه الله: ولا بأس بمصافحة المردان لمن وثق من نفسه وقصد تعليمهم حسن الخلق[٢]. ذكره في الفصول والرعاية لما فيه من المصلحة وانتفاء المفسدة.

فمن أخبار المفتونين:

عن أبي عبدالله بن الجلاء قال: كنت أنظر إلى غلام نصراني حسن الوجه، فمر بي أبو عبدالله البلخي، فقال: أيش وقوفك؟ فقلت: يا عم، أما ترى هذه الصورة! كيف تعذب بالنار! فضرب بيده بين كتفي وقال: لتجدن غِبَّها! أي عاقبة هذا الفعل. قال: فوجدت غبها بعد أربعين سنة؛ أن أنسيت القرآن[٣].

ويروى أن رجلًا علق بشخص وأحبه، فتمنع عنه واشتد نفاره، فاشتد كلف البائس إلى أن لزم الفراش، فلم تزل الوسائط تمشي بينهما حتى وُعد بأن يعود، فأُخبر بذلك ففرح واشتد فرحه وسروره، وانجلى عنه بعض ما كان يجده، فلما كان في بعض الطريق رجع وقال: والله لا أدخل مداخل الريب، ولا أعرض نفسي لمواقع التهم! فأُخبر بذلك البائس المسكين، فسُقط في يده

(١) ذم الهوى، المرجع السابق، ١/ ١١٦.

(٢) كشاف القناع، منصور البهوتي، ٤/ ٤٦٦.

(٣) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر.

ورجع إلى أسوأ ما كان به، وبدت علامات الموت وأمارته عليه. قال الراوي: فسمعته يقول وهو في تلك الحال:

سلام يا راحة العليل وبرد ذل الدنف النحيل
رضاك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

قال: فقلت له: يا فلان، اتق الله تعالى! فقال: قد كان ما كان! فقمت عنه، فما جاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت قد قامت عليه، فنعوذ بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمة[١].

قال ابن القيم رحمه الله في عشق المردان: فما ابتلي به إلا من سقط من عين الله، وطرد عن بابه، وأبعد قلبه عنه، وهو من أعظم الحجب القاطعة عن الله، كما قال بعض السلف: إذا سقط العبد من عين الله ابتلاه بمحبة المردان. وهذه المحبة هي التي جلبت على قوم لوط ما جلبت، فما أُتُوا إلا من هذا العشق، قال الله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] ودواء هذا الداء الاستعانة بمقلب القلوب، وصدق اللجأ إليه، والاشتغال بذكره، والتعويض بحبه وقربه، والتفكر في الألم الذي يعقب هذا العشقَ واللذة التي تفوت به، فيترتب عليه فوات أعظم محبوب، وحصول أعظم مكروه، فإذا أقدمت نفسه على هذا وآثرته، فليكبر على نفسه تكبير الجنازة، وليعلم أن البلاء قد أحاط به[٢].

---

(١) التذكرة، محمد القرطبي، ١/ ٤٢.

(٢) الجواب الكافي، المرجع السابق، ص ٤١.

وسئل شيخ الإسلام، رحمه الله، عن أقوام يعاشرون المردان، وقد يقع من أحدهم قبلة ومضاجعة للصبي، ويدعون أنهم يصحبونه لله، ولا يعدون ذلك ذنبًا ولا عارًا، ويقولون: نحن نصحبهم بغير خَنَا! ويعلم أبو الصبي بذلك وعمه وأخوه فلا ينكرون! فما حكم الله تعالى في هؤلاء؟ وماذا ينبغي للمرء المسلم أن يعاملهم به والحالة هذه؟

فأجاب: الحمد لله، الصبي الأمرد المليح بمنزلة المرأة الأجنبية في كثير من الأمور، ولا يجوز تقبيله على وجه اللذة، بل لا يقبله إلا من يؤمن عليه، كالأب والإخوة، ولا يجوز النظر إليه على هذا الوجه باتفاق الناس، بل يحرم عند جمهورهم النظر إليه عند خوف ذلك، وإنما ينظر إليه لحاجة بلا ريبة، مثل معاملته والشهادة عليه ونحو ذلك، كما ينظر إلى المرأة للحاجة، وأما مضاجعته فهذا أفحش من أن يسأل عنه، فإن النبي ﷺ قال: «**مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[(١)] إذا بلغوا عشر سنين ولم يحتلموا بعدُ، فكيف بما هو فوق ذلك! وإذا كان النبي قد قال: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»[(٢)] وقال: «**إياكم والدخول على النساء**» قالوا: يا رسول الله، أفرأيت الحمُ؟ قال: «**الحمُ الموت**»[(٣)] فإذا كانت الخلوة محرمة لما يخاف منها فكيف بالمضاجعة! وأما قول القائل إنه يفعل ذلك

(١) رواه أبو داود، كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ١/ ١٨٥.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الرضاع، باب كراهية الدخول على المغيبات، ٣/ ٤٧٤، وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه.

لله، فهذا أكثره كذب، وقد يكون لله مع هوى النفس، كما يدعي من يدعي مثل ذلك في صحبة النساء الأجانب، فيبقى كما قال تعالى في الخمر: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] وقد روى الشعبي عن النبي ﷺ أن وفد عبد القيس لما قدموا على النبي ﷺ وكان فيهم غلام ظاهر الوضاءة، أجلسه خلف ظهره وقال: إنما كانت خطيئة داود عليه السلام النظر. هذا وهو رسول الله ﷺ وهو متزوج بتسع نسوة، والوفد قوم صالحون، ولم تكن الفاحشة معروفة في العرب. وقد روي عن المشايخ من التحذير عن صحبة الأحداث ما يطول وصفه، وليس لأحد من الناس أن يفعل ما يفضي إلى هذه المفاسد المحرمة، وإن ضم إلى ذلك مصلحة من تعليم أو تأديب، فإن المردان يمكن تعليمهم وتأديبهم بدون هذه المفاسد التي فيها مضرة عليهم وعلى من يصحبهم، وعلى المسلمين بسوء الظن تارة وبالشبهة أخرى، بل روي أن رجلًا كان يجلس إليه المردان، فنهى عمر رضي الله عنه عن مجالسته. ولقي عمر بن الخطاب شابًّا، فقطع شعره لميل بعض النساء إليه، مع ما في ذلك من إخراجه من وطنه، والتفريق بينه وبين أهله. ومن أقر صبيًّا يتولاه، مثل ابنه وأخيه أو مملوكه أو يتيم عند من يعاشره على هذا الوجه، فهو ديوث ملعون «**ولا يدخل الجنة ديوث**»[1] فإن الفاحشة الباطنة ما يقوم عليها بينة في العادة، وإنما تقوم على الظاهرة، وهذه العشرة القبيحة من الظاهرة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]

(١) مسند الطيالسي، مسند عمار بن ياسر، ٢/ ٣٣.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] فلو ذكرنا ما حصل في مثل هذا من الضرر والمفاسد وما ذكره العلماء لطال، سواء كان الرجل تقيًّا أو فاجرًا، فإن التقي يعالج مرارة في مجاهدة هواه وخلاف نفسه، وكثيرًا ما يغلبه شيطانه ونفسه، بمنزلة من يحمل حملًا لا يطيقه، فيعذبه أو يقتله، والفاجر يكمل فجوره بذلك. والله أعلم[١].

ولا يعني ذلك عدم مخالطتهم أو تعليمهم شرائع الدين، بل ذلك مطلوب، لكنه مقيد بضوابط الشريعة، ويختلف من شخص إلى آخر، فلا يترك تعليمهم وتربيتهم لكل شخص، بل لابد أن تتحقق فيه شروط معينه ذكرها السلف، رحمهم الله، أما ما يفعله اليوم بعض أرباب الأنشطة والمراكز مع المردان بحجة التأثير فيهم وتحقيق الفائدة لهم، فإنه ليس من الدين في شيء، بل أخشى أن يكون وبالًا عليهم في دينهم ودنياهم.

المبدأ الخامس: العدل وعدم تمييزه عن غيره في حال خطئه.

يبالغ بعض المربين في التعامل مع المستقيم بقصد التأثير فيه وغرس الدين في قلبه، لكن هذه المبالغة قد تؤدي أحيانًا إلى نتائج لا تحمد عقباها، ومن مظاهر هذه المبالغة عدم تعريف المستقيم بأخطائه حال وقوعه فيها، ومجاملته أحيانًا، وقد يكون هذا المستقيم عالمًا بخطئه أوْ لا، فإن كان عالمًا بخطئه فإن ذلك يؤثر فيه من ناحية عدم الوقوف على محارم الله، أو عدم إعطاء الآخرين حقوقهم والاعتداء عليها، وتعمد الإضرار بهم، وفعل بعض المحظورات

(١) مجموع الفتاوى، المرجع السابق، ٣٢/ ٢٤٧.

لعدم وجود الحسيب أو الرقيب، أو قد يقع في هذه الأخطاء بدون قصد منه معتقدا صوابها وصحتها، وهذا يجعله يسير على منهجية خاطئة في حياته تودي به في النهاية إلى تراكم المفاهيم الخاطئة عليه، ولو أنه أُخبر بها لتغيرت كثير من سلوكياته ولم يقع فيما وقع فيه.

لذلك ينبغي للمربي أن يحرص على العدل وغرس هذه القيمة في نفس المستقيم، فالعدل يكون معه تجاه غيره والعكس، والمذنب لا بد أن يعاقب ويعتذر عن فعلته، ولا يقودك حرصك على هداية هذا الشاب إلى الإساءة إليه دون أن تشعر، والنبي ﷺ كان أحرص الناس على إسلام من كان معه، لكنه أيضًا كانت لا تأخذه في الله لومة لائم.

فالواجب على المسلم أن يتقي الله في نفسه وفي أهل بيته وفي جيرانه وفي كل شأنه ومع كل المسلمين، وذلك بدعوتهم إلى الله وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وألا تأخذه في الله لومة لائم، هذا هو الواجب على كل مسلم، فلا يدع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل قرابة قريب أو محبة شخص، بل من حبه لقريبه ومن صلته الصلة الحقيقية التي يؤجر عليها أن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر، كما قال عز وجل: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام: ١٥٢] فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يتقي الله وأن يؤدي الحق الذي عليه مع القريب والبعيد[١].

(١) فتاوى ابن باز، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ٢٧/ ٥٠٣.

المبدأ السادس: التدرج في الدعوة.

احرص – أيها المبارك – على التدرج مع المهتدي في الدعوة، فلا تحمل عليه جملة واحدة، فقد يكون -قبل استقامته- تاركاً للصلاة ، أو متكاسلاً عن بعض الشعائر كالصيام والزكاة إلى غيرها، فبعض المربين يستعجل قطفَ الثمار وتحصيلَ النتائج دون مراعاة لأحوال المستقيمين وظروفهم النفسية أو الاجتماعية أو مستواهم العلمي والثقافي، فيريد أن يبرئ ذمته، بأن يبلغ ما لديه من علم دفعة واحدة ، أو يفعل ويأمر بما يعتقده صواباً من الأعمال ، دون مراعاة لحال المتلقي والتدرج معه، غافلًا أو متجاهلًا غاية الدعوة وهدفها الأسمى، وهو هداية الناس بأيسر طريق وأقرب سبيل.

والتدرج هو الأخذ شيئًا فشيئًا وعدم تناول الأمر دفعة واحدة، فقد نزل القرآن الكريم متدرجًا في ثلاث وعشرين سنة، ولما اعترض على ذلك الكافرون بين الله الحكمة من نزوله متدرجًا فقال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٣٢].

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر. لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا! ولو نزل: لا تزنوا. لقالوا: لا ندع الزنى أبدًا**»[1].

---

(١) رواه البخاري، كتاب القرآن، باب تأليف القرآن، ٦/ ٢٢٨.

ويراعى أيضًا في التدرج ألا يكثر المربي من التذكير والموعظة للمستقيم حتى لا يمل، ولذلك كان النبي ﷺ يتخول صحابته بالموعظة خشية الملل.

عن أبي وائل قال: كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم! قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا[١].

وروى الشاطبي أن عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز قال يومًا لأبيه عمر: ما لك لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أبالي أن القدور غلت بي وبك في الحق! قال عمر: لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة[٢].

وعليك - أيها المبارك - بالرفق في دعوتك، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**ما كان الرفق في شيء قط إلا زانه، ولا عزل عن شيء إلا شانه**»[٣] إلى غير ذلك من الآداب.

---

(١) متفق عليه.

(٢) الموافقات، المرجع السابق، ٢/ ١٤٨.

(٣) رواه الإمام أحمد، مسند عائشة رضي الله عنها، ٦/ ٢٠٦، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

المبدأ السابع: لا يأتيك مستقيمًا ثم يتركك منتكسًا.

بعض المربين يأتيه الشاب راغبًا في الخير حريصًا عليه، يريد الدلالة على طريق الهداية، فيقوم البعض بقصد أو بدون قصد بتنفيره أو تزهيده في الالتحاق بهم بسلوك شائن، بسبب العنصرية القبلية أو العرقية أو الفكرية، فيتسبب في انتكاسته.

وأحيانًا يكون سبب انتكاسة هذا الشاب هو عدم الحرص على تعريفه بالله، أو عدم تأهيله روحيًّا وعلميًّا وتربويًّا واجتماعيًّا، وهو ما يجعل هذا المهتدي يعزف عن درب الخير والصلاح ويستبدل به الذي هو أدنى.

وذلك لأن بعض الدعاة قد يؤثر في مجموعة من الشباب بكلماته الجميلة أو أسلوبه الرائع في الدعوة إلى الله، تبارك وتعالى، فيهتدي على يديه العشرات من الشباب، فيفرح لذلك، لكن المشكلة تكمن في أنه لم يتمكن من الاستمرار مع هؤلاء المهتدين لانشغاله، أو سفره، أو أنه لا يستطيع أن يؤهلهم ويرسم لهم منهاجًا وقواعد يسيرون عليها، وقد تكون المشكلة في ارتكاب بعضهم أخطاء تزهد المهتدي في الاستقامة، ذلك لأن بعض المربين يكون فيه خير عظيم، ويأتيه المهتدي طالبًا مساعدته، فيشفق عليه ويحاول أن يقدم له الخير ويدله عليه، لكن يقع في كثير من الأخطاء الفاحشة في التأهيل أو المنهجية اجتهادًا منه دون بصيرة أو علم، والضحية هو هذا المهتدي، ورحم الله امرءًا عرف قدر نفسه! أو قد يرتكب بعض التصرفات يحمله عليها العداوة الشخصية، بغرض التشفي أو العنصرية، أو غير ذلك، من التصرفات التي تدعو البعض إلى اعتقاد

نسبتها إلى المستقيمين، ومن ثم يقوده هذا الموقف إلى العزوف عن الاستقامة.

فاحرص - أيها المبارك - ألا يأتيك الشاب طالبًا الخير فتكون عقبة في طريقه وصادًّا عن سبيل الله دون أن تشعر.

وفي الحديث عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا! فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ، فقال: «**يا أيها الناس، إن منكم منفِّرين! فأيكم أمَّ الناس فليوجز؛ فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة**»(١).

ولا تشغل المهتدي بغير ما أتى لأجله، فتشغله بالبرامج والأنشطة، وتبالغ في محاسبته عليها وتشدد عليه، بل احرص على اللين والصفح والعفو، وتعاهد استقامته وظروفه؛ فإن ذلك مما يحبب المستقيم فيك، ويكون عونًا له بعد الله في الثبات.

هذا ما تيسر إعداده. والله يتولى الصالحين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ٢/ ٤٢.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
المحور الأول: مفهوم تأهيل الشاب المستقيم	٧
النقطة الأولى: تعريف مصطلحات الموضوع.	٧
الفرع الأول: تعريف التأهيل.	٧
الفرع الثاني: تعريف الاستقامة.	٨
النقطة الثانية: الاستقامة في ضوء النصوص.	٩
الفرع الأول: الاستقامة في القرآن الكريم.	٩
الفرع الثاني: الاستقامة في السنة النبوية.	١٤
النقطة الثالثة: أهمية تأهيل الشاب المستقيم.	١٥
المحور الثاني : طرق تأهيل الشاب المستقيم	٢٠
النقطة الأولى: تأهيل الشاب المستقيم روحيًّا.	٢٠
علاقتك مع الله:	٢١
لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها:	٢٦
التدرج مع النفس:	٢٨
الوسطية بين التنطع والتمييع:	٣٢
النقطة الثانية: تأهيل الشاب المستقيم علميًّا.	٣٦
التخلية قبل التحلية:	٣٧
العلم قبل الدعوة:	٤١
أول ما تبدأ به تعلم القرآن:	٤٤

المنهجية في طلب العلم: ٤٧
العلم بالعمل: ٥٤
النقطة الثالثة: تأهيل الشاب المستقيم تربويًّا. ٥٧
الهمة العالية: ٥٨
القدوة الحسنة: ٦٢
التواضع: ٦٣
حسن الخلق: ٦٦
الصبر والثبات على الاستقامة: ٧٠
المبادرة والتضحية: ٧٨
تنمية المواهب والقدرات: ٨١
التعامل مع الغريزة الجنسية: ٨٢
لمن تقرأ وكيف تقرأ: ٨٤
النقطة الرابعة: تأهيل الشاب المستقيم اجتماعيًّا. ٨٧
طريقة التعامل مع الأقارب: ٨٨
طريقة التعامل مع الآخرين: ٩٤
الزواج واختيار شريكة الحياة: ٩٧
العمل وضوابطه: ٩٩
تغيير المجتمع ومن حولك: ١٠٢
المحور الثالث : قواعد مهمة لحديث الاستقامة ١٠٥
القاعدة الأولى: اشكر الله على نعمة الهداية. ١٠٥
القاعدة الثانية: الاستقامة لا تعني العصمة. ١٠٦

القاعدة الثالثة: احذر القنوط من رحمة الله والأمن من مكر الله..... ١٠٩
القاعدة الرابعة: معيار اختيار الصحبة. ١١٣
القاعدة السادسة: الزم القرآن والمسجد..... ١٢١
القاعدة السابعة: احذر التصنيفات. ١٢٢
القاعدة الثامنة: لا تشتغل بالمفضول عن الفاضل..... ١٢٧
القاعدة التاسعة: لا تشتغل بالفتوى. ١٢٩
القاعدة العاشرة: التقنية سلاح ذو حدين. ١٣٢
القاعدة الحادية عشرة: عدم التعلق بالأشخاص والغلو فيهم..... ١٣٧
القاعدة الثانية عشرة: احذر الانتكاسة الخفية. ١٤١
المحور الرابع: المبادئ العامة في التعامل مع حديث الاستقامة..... ١٤٣
المبدأ الأول: تعليقه بالله..... ١٤٣
المبدأ الثاني: اكتشف المستقيم ثم وجهه التوجيه السليم..... ١٤٤
المبدأ الثالث: عدم الإكثار من اللهو واللعب، والأمور تقدر بقدرها. ١٤٦
المبدأ الرابع: المُرْدَانُ والتعامل معهم. ١٤٧
المبدأ الخامس: العدل وعدم تمييزه عن غيره في حال خطئه..... ١٥٣
المبدأ السادس: التدرج في الدعوة. ١٥٥
المبدأ السابع: لا يأتيك مستقيمًا ثم يتركك منتكسًا..... ١٥٧
فهرس الموضوعات ١٥٩

۞ ۞ ۞